Obstacles to Activating the Quranic Epistemological Methodology in Constructing Contemporary Islamic Thought in Light of Sheikh Taha Jabir Al-Alwani's Interpretation of the Quran by the Quran

Prof. Ziad Khalil al-Daghamin[(1)*]

Received: 13/02/2024 Accepted: 12/05/2024 published: 03/03/2025

Abstract

This study explores the obstacles hindering the activation of the Quranic epistemological methodology in shaping contemporary Islamic thought, as outlined in Sheikh Taha Jabir Al-Alwani's interpretation of the Quran by the Quran. These obstacles fall into three categories: the reader's personal attributes, including their behavior, intent, and intellectual preparedness; the accumulated influence of traditional interpretations that restrict engagement with the Quranic text, such as reliance on weak narrations and fragmented readings; and the absence of broader epistemological perspectives, which limits a comprehensive understanding of the Quran. The study concludes that these challenges, rather than being mere hindrances, highlight the need to revive the Quranic methodology in understanding revelation. It emphasizes that tadabbur (deep contemplation) serves as the key to overcoming these barriers and constructing a more enlightened and civilizational Islamic thought.

Keywords: Qur'an reader, obstacles, Islamic heritage, contemplation, renaissance.

معيقات تفعيل المنهجية المعرفية القرآنية في بناء الفكر الإسلامي المعاصر في ضوء تفسير القرآن بالقرآن للشيخ طه جابر العلواني

أ.د. زياد خليل الدغامين

ملخص

استقرأ هذا البحث المعوقات التي أثرت على منهج فهم القرآن الكريم في تفسير القرآن بالقرآن، وبيّن اندراجها في ثلاثة معوقات يتعلق أحدها بالشخص القارئ المتفهم لآياته من حيث سلوكه واستقامته، ومن حيث غايته وهدفه من القراءة والأفكار التي يحملها ليبحث لها عن دليل يسندها، ومشكلة علمية معرفية تمثل نقص الزاد المعرفي لدى المتفهم. ويتعلق الثاني بالتراكمات التراثية التي استقرت في العقلية المسلمة وانعكست عليها فقيدتها عن التحليق في فضاء النص القرآني، ووجه عدّها معوقاً عدم انطلاقها من القرآن أصلاً، فتتبعها البحث في الروايات التي لا تصح، وفي القصص القرآني، وفي أحوال الجن وأشراط الساعة، إضافة إلى تلك القراءات المجتزأة للنص القرآني. ويتعلق ثالثها بتلك الآفاق المعرفية التي إن غابت عن أفق المفسر كانت معوقاً بالغ الخطر في الأثر على بناء العقلية المسلمة، كغياب توظيف الوحدة البنائية أو الجمع بين القراءتين.

(1) Professor, Faculty of Sharia, Al al-Bayt University, Mafraq – Jordan.

* ***Corresponding Author:*** zdaghamin@hotmail.com

DOI: https://doi.org/10.59759/jjis.v21i1.342

وخلص البحث إلى أنّ ما تم عدّه معوقاً كان يهدف إلى تفعيل المنهجية القرآنية في فهم الوحي لبناء فكر إسلامي حضاري. وكان منهج التدبر هو حبل النجاة ورائد الخلاص من كل المعوقات.

كلمات مفتاحية: قارئ القرآن، المعوقات، التراث الإسلامي، التدبر، النهضة.

أهمية البحث وطبيعته:

حمل الشيخ طه العلواني همّ هذه الأمة التي اختارها الله لتكون خير أمة أخرجت للناس، وعايش قضيتها المعرفية وانعكاساتها على أوضاعها الراهنة التي شهدت وتشهد تخلفاً واضحاً في مجالات الحياة كلها، وذلك – في نظره– راجع إلى عقم المنهج الذي ورثته في التعامل مع كتاب ربها وسنة نبيها.

لقد اطلع –رحمه الله– على التراث الإسلامي ووقف منه على مظاهر الإبداع ومظاهر التخلف والقصور، والأسباب والمعوّقات الصارفة عن فهم هدي القرآن، الحاجبة لنور هدايته، الحائلة بين هذا النور وبين متفهمي القرآن الكريم ودارسيه. وقام يفسّر بل يتدبّر سوراً عديدة من كتاب الله يستجلي معانيها، ويحلّق في بيان مبانيها كاشفا أسرار الهداية وموضحاً مقاصد القرآن، بلا حجب ولا صوارف، ولا حشو ولا عوائق، لا روايات ضعيفة أو موضوعة، رابطا معاني الآيات بالمقاصد العظمى لكتاب الله تعالى.

واعتنى الشيخ –رحمه الله– بحصر هذه المعوقات وبيان آثارها، وتصوّر الحلّ الناجع لها بطرح التدبر المنضبط المبني على أسس صحيحة منهجاً يصل من خلاله إلى هداية القرآن ويحقّق بعدها الحضاري العالمي، وبيّن ذلك من خلال تفسيره لآيات كتاب الله تعالى.

لقد ساءه وجود تلك المعوّقات التي صنعت بأيدي المسلمين أنفسهم فشكلت حاجزاً وحاجباً حال دون الوقوف على معالم الهداية القرآنية، بل أدّت إلى تخلّف الأمة في العديد من الجوانب، فانبرى ليبين المهمة التي أخذ على عاتقه القيام بها، فتراه يقول:" لقد وجدنا أنّ علينا واجباً عينياً، وهو أن نقوم بما لم يقم به الآخرون، فنجتهد في تقديم القرآن للبشريَّة كما أنزله الله على رسوله الكريم الذي حفظه بنظمه الداخليّ وأسلوبه وفصاحته وإعجازه من أن يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ورأينا أن نحمي العقول المؤمنة من أن تذهب نهباً للإسرائيليات، والأكاذيب، والموضوعات، والمعلقات، والمراسيل، وما أحاط بما دوّن مما سمّي بعلوم القرآن، مثل: الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وما إلى ذلك، فأردنا أن نقدّم للناس كتاب الله كما أجمعت الأمة عليه في عهد الإمام الشهيد أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ الذي وضع حدّاً لتلك الاختلافات والمنازعات، وتجاوز تلك الآثار والأحاديث التي أدّت إلى اختلاف الناس في أحرفٍ وكلمات، وذلك جزءٌ من الحفظ الإلهيّ للقرآن الكريم بحيث انضبطت بنائية القرآن كما انضبطت بنائية النجوم في مواقعها، ولم يعد هناك مجالٌ لزيادة حرف، أو نقصان نبرة[1].

الدراسات السابقة:

الذين تناولوا موضوع المعوّقات حاموا حول الحمى، ودرسوه من جوانب جزئية، ومن هذه الجهود:

بحث بعنوان" الفهم الصحيح للقرآن بين ضوابط منجية ومزالق مهلكة"، لصالح السعود. ذكر من المعوقات: عدم الإخلاص والذنوب، والمعاصي، وعدم التدبر، والنظرة الجزئية، والتورع الموهوم، الوقوف عند ما سبق، وأنه لا جديد، والاشتغال بغير القرآن(٢).

واقتصر بعضهم على أربعة معوقات تمثلت في غياب القلب، وغياب الفهم، وغياب الترتيل، وغياب الاستماع بإنصات(٣). وهي معوقات جزئية.

مشكلة الدراسة وأهدافها:

هناك عرض أخاله جديدا في بيان المعوقات الصارفة عن فهم كلام الله وتدبره، جدير بالنظر، حقيق بالبحث؛ لما فيه من تحديد عقبات بالإمكان تجاوزها، وصعوبات يمكن تلافيها، فهل هذه المعوقات ناجمة عن قلة الحيلة المتمثلة في المنهج؟ أم ضعف الوسيلة المتمثلة في المفسر المتدبر لكلام الله تعالى وما يملك من أدوات؟ أم في ذلك المتراكم من الفهوم والاجتهادات؟

وتهدف الدراسة إلى أن تستقصي كل تلك المعوقات، وتبين مدى انضباطها وأثرها أو تأثيرها على منهج التعامل مع كتاب الله تعالى. وبيان المنهج الذي اقترحه الشيخ العلواني والذي من خلاله يمكن تجاوز المعوقات كلها.

منهجية البحث:

سيعتمد البحث المنهج الاستقرائي في تتبع هذه المعوقات في كتاب الشيخ المسمى تفسير القرآن بالقرآن، ثم يقوم بتصنيفها حسب موضوعها وقضيتها، وبالنظر في مجمل كلام الشيخ –رحمه الله– في تفسيره يظهر أنّ هذه المعوقات متشعبة بحسب جهات التعامل مع كلام الله تعالى، فقد انحصرت في ثلاثة محاور سنجعلها في ثلاثة مباحث، ثم نتبعها بمبحث رابع نبين فيه منهج التدبر، ونخلص منها إلى خاتمة البحث ونتائجه على النحو الآتي:

المبحث الأول: المعوقات الكامنة في قارئ القرآن.

المبحث الثاني: المعوقات الناجمة عن التراث الإسلامي.

المبحث الثالث: المعوقات الناتجة عن الأفق المعرفي للمفسر.

المبحث الرابع: منهج التدبر.

الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج.

وسنتناول هذه المعوقات بشيء من التفصيل في العرض والاستدلال من كلام الشيخ –رحمه الله– تعالى، والاكتفاء بتفسيره الذي هو موضوع الدراسة وعمدتها.

المبحث الأول: المعوقات الكامنة في قارئ القرآن.

الذي يتلقى القرآن بوصفه خطاب الله الخاتم للبشرية جمعاء، ينبغي أن يرتقي لمستوى هذا الخطاب الذي حمل صفات الإحكام والإتقان في لغته، وبلاغته، وأسلوبه، وحقائقه، وعلومه، ومباحثه، وهدايته للتي هي أقوم، وهو الخطاب الذي سجد له بعض المشركين إعجاباً وتقديراً، وأيقن كثير منهم أنّ البشر مهما أوتي من سعة في العلم، وقوّة في الإرادة، وتبحر في اللغة فلن يتمكن من الإتيان بمثله. وإذا كان الخطاب القرآني بهذه الخصائص فالقارئ الحصيف إن لم يرق في استعداده النفسي والروحي والعلمي ما يُمكّن من انعكاس نور القرآن على أخلاقه وسلوكه وتفكيره والتزامه فقد فاته خير كثير، ونفع عظيم؛ فالقرآن الكريم تنزّل ليكون هادياً للتي هي أقوم، فإن لم ينتفع القارئ بقراءته، ويهتد بهديه، ويمش بنوره فلم يقرؤه؟

لكن، لا يبدو أنّ قارئ القرآن عند الشيخ طه –رحمه الله– هو ذلك المسلم البسيط الذي يحرص على التعبد بتلاوته ليؤجر عليها بكل حرف حسنة، فإنّ الشروط والتوجيهات التي وضعها تحتاج قدراً كبيراً من الوعي لفهمها والعمل بمقتضاها، وكأنه يريد من قارئ القرآن أن يتمكن من هذا الاستعداد فيتقن وسائل الفهم وأدواته، أو يكون القارئ هو ذلك الشخص المؤهل بهذه الصفات التي تتطلب إدراكاً وفهماً بمسائل عديدة تتعلق بكتاب الله تعالى.

قام الشيخ –رحمه الله– بدراسة متأنية وعميقة لكل تلك المعوقات، وتتبع وجودها في كثير من العلوم المتصلة بالقرآن الكريم، وأحاط القارئ بها علماً، وكاشفه –كذلك– بما في نفسه من عقبات كأداء تحول بينه وبين فهم آيات الله البينات، ووصول هداية القرآن إلى أعماق نفسه، ويجملها بقوله –رحمه الله–:" يجدر بالمسلم أن يعلم المعوّقات التي تحول دون تدبره للقرآن المجيد؛ ومنها: الذنوب، واتخاذ أحكام مسبقة قبل التدبر، وتعضية القرآن الكريم فيقرؤه على أنه آيات منفردة فحسب، أو سور منفكة ومنفصلة عن بعضها بعضاً، وكذلك جهله بعادات القرآن الكريم ولسانه الخاص به، وكذلك جهله بالمقاصد العليا الحاكمة للقرآن الكريم، وجهله بآثار مشكلة الناسخ والمنسوخ التي دخلت على الإسلام من توراة يهود، وأصبحت مصدراً للتنازع بين المسلمين، والاختلاف فيما بينهم[٤].

والناظر في كلام الشيخ –رحمه الله– يدرك أن عنايته بقارئ القرآن كبيرة، ويعالج عنده ثلاث مشكلات، كل واحدة من هذه المشكلات تخفي وراءها كثيراً من المعوقات:

المشكلة الأولى: مشكلة نفسية سلوكية إن لم يتجاوزها قارئ القرآن فستكون معوقاً كبيراً له، نعلم ذلك حين أشار الشيخ –رحمه الله– إلى الذنوب[٥] وهي صفة لا تصلح لقارئ القرآن، فمرتكب الذنوب طالب شهوة ورجس، وهو غشاء سميك، وحاجب قوي لا يسمح بالتدبر في آيات القرآن، ولا يأذن بمرور هدايته إلى القلب، فأنوار القرآن وهداياته لا تنعكس على قلب مظلم قد أحاط به الران، وتراكمت عليه الأدران.

المشكلة الثانية[٦]: مشكلة تتعلق بالأفكار التي يحملها القارئ والأهداف التي يريد تحقيقها من قراءة القرآن، فالمفاهيم والمقولات الخاطئة التي يريد القارئ أن يدخل بها إلى القرآن الكريم ليبحث لها عن دليل يسندها ويقويها، وهذا يتمثل في الأحكام المسبقة التي تعشش في فكر القارئ، ومنهج التعضية الذي ينتهجه القارئ للانتصار للمذهب مثلا أو غيره من مقررات فكرية فلا ينظر للقرآن إلا من زاوية واحدة، تلك التي تسند ما يذهب إليه من مذهب.

والاختلاف معوّق آخر يقف حاجباً أمام تدبر القرآن وفهمه حق الفهم، وقد أشار إليه الشيخ –رحمه الله– فبين أنه حين يتخذ قارئ القرآن موقفا يستند إليه ويبحث له عن أدلة لمواجهة قارئ آخر فسيؤدي هذا إلى ضرب آيات القرآن بعضها ببعض. إنه يقرأ القرآن ليجادل به العلماء أو يماري به السفهاء.

المشكلة الثالثة[٧]: مشكلة علمية معرفية، وهي مشكلة تتعلق بنقص الزاد العلمي والمعرفي بالنظر فيما ينبغي أن يتوافر لقارئ القرآن من إلمام بالأدوات التي تؤهله لفهم صحيح لكتاب الله، إنّ زاداً معرفياً ينبغي أن يقف عليه المتفهم للقرآن قبل الدخول لفهمه وإلا كان غياب هذا الزاد معوقاً خطيراً، ويرشد الشيخ –في هذا السياق– إلى خمسة أمور تعين على التدبر والفهم[٨]:

- أن يعرف موقعه من الخطاب.
- تنزيل الخطاب على القلب من أجل تحريك كل قوى الوعي الإنساني لتفهم القرآن.
- الانتباه إلى حضارة الكلمة لا حضارة الصورة، فكل كلمة في القرآن هي كلمة الله تعالى لها أثرها، وفاعليتها في التغيير.
- الانتباه إلى خصائص اللسان القرآني، "فقد خلا بفضل الله تعالى من سائر عيوب الألسن بما في ذلك اللسان العربي نفسه، فلا تناقض فيه ولا اختلاف، ولا غموض، ولا إبهام، ولا زيادة ولا تكرير، ولا ترادف ولا اشتراك، فهو قد استوعب محاسن اللسان العربي، وتجاوز أي عيب فيه بإعجازه وتحدّيه، وعصمته وإحكام آياته وتفصيلها بعلمه تبارك وتعالى"[٩].
- معرفة أسماء القرآن وصفاته... فكل اسم له دلالة، وكل صفة لها آفاق، وبتجمع الدلالات والآفاق تتسع مدى الرؤية لهذا الكتاب الخالد، وما يحدثه في واقع الحياة الإنسانية.

وكل أمر من هذه الأمور يرقى بحسن الفهم لكتاب الله تعالى، ولا شكّ في أنّ هدف الشيخ رحمه الله واضح؛ فالوقوف على هذه الأمور أو الشروط من شأنه أن يتجاوز كثيراً من المعوّقات الصارفة عن تدبر القرآن وفهمه؛ ليصل في نهاية المطاف إلى هدف عميق سام يتمثل في إعادة بناء الإنسان والأمة؛ لتحقيق ما لهما من دور قيادي في الحياة.

ولعل أكبر المعوقات التي تواجه حملة القرآن تلك النظرة القاصرة للقرآن باعتباره كتابا دينيا بالمفهوم اللاهوتي للدين، وهذا يمنع من اكتشاف أن في القرآن منهجا علميا كونيا، ومنهجية كونية لا تقاس إلى المنهجية العلمية المعاصرة، ولا تتنافى معها، ولا تناقضها في الوقت نفسه، بل تستوعبها وتخرجها من أزماتها[١٠].

إنّ الارتقاء بمستوى الفهم والقراءة من ضرورات نهضة الأمة واستمرارها في قيادة شؤون الحياة الإنسانية، وهذه القراءة تختلف عن تلك القراءة التي تعمل على تسكين معاني القرآن في العصور الماضية، وقد ذكر رحمه الله أنّ من أسوأ محاولات فهم آيات الكتاب الكريم هي محاولة الفهم السّاكنة التّاريخية التي تُرجع كل فهم وتأويل إلى الماضي وإلى عصر النزّول، وتجاهل تماماً أنّ هذه الآيات الكريمات إنّما هي لكل عصر، وهي تعالج واقعاً متحركاً وديناميكياً للبشر، وليس واقعاً ثابتاً وساكناً. ومن هذه الأخطاء الجسيمة في الفهم محاولة تفسير هذه الآية الكريمة: ﴿**وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُم وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ**﴾[النور: ٥٥] على أنها بعد الرسول الكريم، وأن التمكين المقصود هو الخلافة الراشدة التي تعني استخلاف أبي بكر وعمر –رضي الله عنهما–[١١]، وأنّ الأمن هنا هو حالة الأمن في المدينة المنورة بعد الهجرة قبل وفاة الرّسول الكريم وبعدها. إنّ الفهم بهذه الطّريقة التّاريخية السّاكنة التي لا تفاعل فيها مع الحياة، ومع

تطور العصر والأحداث يفرغ الآية الكريمة – من مضمونها ومن أهدافها، وهي التي من شأنها ضبط حركة الحياة وتصحيحها في كل وقت وعصر[١٢].

من هنا وجّه شيخنا رحمه الله عنايته إلى قارئ القرآن يرشده ويحصنه ليميط لثام الجهل والحيرة عن نفسه وقلبه وروحه، فليس ثمة قصور في القرآن عن أن يبلغ أثره ويمتد سلطانه في سلوك العبد وفهمه، بل هي مشكلة القارئ نفسه، إنه الوقر والأكنة والذنوب والمعاصي والأفكار المسبقة والنظرة القاصرة إلى القرآن... كل ذلك حجب ومعوقات تغشى قلب العبد فتصيبه بالعمى، فلا يرى نور القرآن وينصرف عن تفهمه وتدبره.

لا بدّ –إذن– في ضوء كلام الشيخ –رحمه الله– من إعداد وتأهيل القارئ نفسياً وروحياً ومعرفياً وفكرياً، فضلا عن إتقانه لعلوم الآلة التي تمكنه من فهم حضاري للقرآن الكريم وهداياته السامية على اعتبار أنّ متدبر القرآن شخص ذو همّة عالية.

المبحث الثاني: المعوقات الناجمة عن التراث الإسلامي.

التراث الإسلامي هو الاجتهادات والفهوم التي أنتجتها عقول علماء الأمة المسلمة، والمتعلقة بالوحيين كتاباً وسنة قبل كل شيء، وقد أنجز مهام عديدة بالنسبة للمسلم والمجتمع المسلم على ممرّ العصور، لكن في الوقت الذي نجد فيه بعض العلماء يدعو لنقله للأجيال وأنه حلقة الوصل بين الماضي والحاضر، وهو المنطلق إلى المستقبل[١٣] نجد الشيخ يقول بأنه لم ينجح في استجلاء معاني القرآن، فالبرغم من وجود مليون دراسة عن القرآن ما بين مخطوط ومطبوع إلا أنّ هذا التراث لم يقدم لنا القرآن بوصفه **كتاب خلافة، ودليل عمران، ومصدر تحقيق للشهود الحضاري**... وبقي في هذا الكتاب الخالد كثير من العوالم التي قد يشعر الإنسان بأنّه لو خُليّ بينه وبين القرآن يراجعه ويسائله ويتدبّر فيه ويتذكّر ويتعقّل لاستفاد من معانيه وتجلّياته وما فيه من نور وهداية أكثر بكثير مما استفاده من تدخّلات المفسّرين، ولا نتردد في أن نقول إنّ بعض التفاسير قد وقفت حاجزاً بين القرآن والقرّاء، وربما حرمت بعضُ التفاسير القرّاءَ من حسن استجلاء معاني القرآن العظيم ومحاولة التدبّر فيها وتعقّلها وتذكّرها[١٤]. ولا شك أن هذا النقد للتراث بمعيارية القرآن لم ينضج عند الشيخ إلا في آخر مراحل حياته الفكرية[١٥].

هذا التراث لم يأخذ حظه من الارتباط بالقرآن الكريم، بل أصبح يشكل حاجزا حال دون وصول هداية القرآن إلى الناس على اختلاف مشاربهم. فالمعوّق الذي يتصوره الشيخ –رحمه الله– أنّ منطلقات التراث في الفهم لم تتبن ولم تنطلق أساساً من حقائق القرآن العظيم وهداياته، لذلك شاغبت هذه الفهوم على نصاعة البيان القرآني، وحالت دون وصول هذه الهدايات إلى قلوب الناس، ولربما أدّت بعض هذه الأفهام –كما قال مالك بن نبي– إلى تخلف على صعيد عمارة الكون، حين يتوهم مفسّر أن العناية الإلهية تحمل الأرض على قرن ثور قال –رحمه الله– :"وهذه الفكرة الدارجة قد تؤثر على توجيه التاريخ أكثر من هذه الفكرة العلمية؛ لأنها تستند إلى خرافة مفسر غير موفق يرى الأرض على قرن ثور"[١٦].

إنّ صنيع الشيخ –رحمه الله– في اعتماده أو اقتباسه من كتب التراث يظهر ويؤكد نظرته بأنّ منه معوّقات كثيرة، ولذلك كان مقلاّ إلى حدّ كبير جداً في النقل والاقتباس منه، أو أنّه يرى أنّه لا ضرورة من الانطلاق منه في فهم آيات

القرآن، إنّ الشيخ –رحمه الله– يعتقد أنّ الانطلاق منه قد لا يشكل بعثاً إسلامياً جديداً، ولعلّ في هذا الطرح مبالغة في وصف التراث بهذا الوصف، فالتراث يعجّ بالمعاني السامية، والحكم البالغة.

ويعدّ الشيخ طه –رحمه الله– مسألة علوم القرآن الكريم من القضايا الشائكة التي تخلّلها كثير من القصور، ودخلت في بعضها قضايا خطيرة، مثل: دعوى النسخ، والقراءات خاصّة مع ما عرف منها بالقراءة الشاذة، وتعدّد الأحرف... هذه العلوم نقلت تلك الإصابات إلى بعض معارفنا الأخرى، مثل أصول الفقه. لقد أفرزت هذه العلوم كثيراً من القضايا الشاغلة عن تفهم القرآن وتدبره ...[١٧].

بيّن الشيخ –رحمه الله– أنّ الخلل الذي شكل معوّقا تمثل في تلك العلوم التي ألقت بظلالها على فهم كتاب الله تعالى، فقيّدت فهمه وضيقت مجال النظر في هداياته، فعلم النسخ –على سبيل المثال– قيّد فهم الآية بحدود الزمان أو المكان، وهو أشبه ما يكون بتحنيط آيات القرآن أو حبسها في إطار زماني أو مكاني. إضافة إلى ذلك فهو يرى أنّ الروايات الضعيفة والموضوعة التي شاعت كان لها الأثر السلبي في فهم نصوص القرآن الكريم.

هاجم الشيخ كل المعوقات التي تحول دون هداية الآية في موضعين عظيمين في كتاب الله تعالى أولها عند قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ﴾[البقرة: ١٠٢]. والثانية عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ﴾[البقرة: ١٠٦] فضرب صفحا عن التراث المتراكم حول فهم هاتين الآيتين ...[١٨].

ولعل قصد الشيخ في عدّ علم القراءات معوّقا، أنّ القراء اشتغلوا بها عن القرآن نفسه، وزجّوا بالقراءة الشاذة مصححين نحويتها، ووجوهها الإعرابية، وقبولها على أساسها اللغوي، مما أشغل ذهن القارئ بعيداً عن الغاية والمقصد، "فضلاً عن القراءات التجزيئية، وقراءات الهذرمة"[١٩].

ليس فقط الروايات التي لم تثبت هي المعوّق، بل –كذلك في نظر الشيخ– الأفكار التي لا تتماشى مع حكمة التشريع ومقاصده، وتكليف ما لا يطاق، ومع ذلك تجد من يبحث في هذه المسألة. لقد حمّلت تلك المقولات القرآن الكريم مجموعةً من التساؤلات الشاغلة عن تدبّره، والأمور التي ما كان ينبغي لهذه الأمّة أن تغفل عنها، وما كان ينبغي أن تسمح لها أن تمر إلى علوم القرآن فضلاً عن أن تعيش وتتداول حتى أيامنا هذه، فمثلاً، هناك أخبارٌ نُسب بعضها إلى أُمّنا عائشة– رضوان الله عليها –ولا أشك أنّها بريئة من ذلك، يقول الخبر إنّها قالت" : أتدرون كم هي سورة الأحزاب اليوم؟ قالوا: يا أم المؤمنين إنّها ثلاث وسبعون آية، قالت : والله لقد كناً نقرأها على عهد رسول الله وإنّها تعدل سورة البقرة، تجاوز المئين،" فهذا القول كيف يمكن أن يُقبل؟ وكيف يمكن أن نستمر بتداوله؟ ونحن نعرف أنّ الله ﷻ هو الذي تكفّل بنفسه بحفظ هذا القرآن والحيلولة دون نسيان أو تجاهل أو تحريف أي شيءٍ منه مهما كان، حتى لو كان كلمةً أو حرفاً[٢٠]. ومع أن هذا الأثر لم يصح[٢١] إلا أن الشيخ بنى عليه حكما لأغراض أخرى.

هذا التصور لدى الشيخ –رحمه الله– قام بعد قراءات لكتب التراث الفقهي والتفسيري والأصولي ... ويتلخص مجمل تصوّره كذلك في ما يأتي:

أولاً: رفض ما شذّ من أقوال المفسرين:

ليس من السهل أن يقبل الشيخ كلام المفسرين الذي لا ينسجم مع مقاصد القرآن وهداياته، ولا يقبل أن يقحم التفسير في مسائل وقضايا لا تنسجم مع مقاصد القرآن، يتضح ذلك حين أورد كلام المفسرين في تعليم الله آدم الأسماء الحسنى رأى أنه لا يحتاج أن يعرف ما قاله المفسرون في تعليم الأسماء لآدم ﷺ، وحينما ذَكَر الملائكةُ ما ذكروا اقتضت حكمة الله- تبارك وتعالى -أن يُعَلِّم آدم الأسماء، ونحن لا نعرف ما هي هذه الأسماء، ولا يفيدنا كثيراً أن نعرفها بذاتها، وحينما نُفسِّر القرآن بالقرآن نرى أننا لسنا بحاجة إلى ما ذكره المفسرون عنها بغير دليل، وإنما نرى في قضية هذه الأسماء أنّها من نعِم الله تعالى فقد علَّم الإنسان كيف يُقَطِّع صوته إلى أحرفٍ فكلماتٍ فجُملٍ، ومن ثمَّ يمكنه أن يُبِين عمّا في نفسه[٢٢]. كأن الشيخ يرى أن تحميل الآيات فوق ما تحتمل يعدّ من المعوقات؛ لأنّ الاجتهاد في فهم النص ينبغي أن يرتكز على أسس صحيحة ومعالم واضحة ترشد إلى فهم صحيح للآية الكريمة. وهذا يختلف عما قاله المفسرون في مبهمات القرآن الكريم.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡ**﴾[النور: ٣٢] يرى الشيخ -رحمه الله- أنّ المفسرين أكثروا في تعداد الأقوال، على الرغم من وضوح الآية[٢٣]، وكأنّ تعداد الأقوال شاغل ومعوق يحول دون الذهاب مباشرة إلى مقصد الآية الكريمة.

يعلّق الشيخ -رحمه الله- على انشغال المفسرين بالرهان بين أبي بكر وأمية بن خلف في قضية المدة التي سيغلب فيها الروم الفرس عند قوله تعالى: ﴿**غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ**﴾[الروم:٢-٤] ويرى أنّ الأولى الالتفات إلى كيفية مواجهة الغرب على الصعيد العلمي والأخذ بأسباب العلم في كل المجالات، يقول -رحمه الله-: "إنَّ المفروض على أبناء الأمَّة الشاهدة أن يكونوا على علم واسع شامل، لا ينحصر في ظواهر الحياة وقشورها، فذلك أمرٌ مفروغ منه، يستطيعونه هم، كما يستطيعه غيرُهم، ولكن المفروض أن يكونوا على علم بحقائق الأشياء، ودخائلها، ومآلاتها، وربطها بمقاصد القرآن وآياته، والتزود للدار الآخرة؛ لأنَّهم قوم لا يغفلون عن فعل الله في الكون، وغيرهم لا يفقهون هذا؛ فيقتصرون في علومهم على ظاهرٍ من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة هم غافلون"[٢٤].

وينتقد ما روي من رأي للتابعي الجليل مجاهد بن جبر المكي الذي فسر العذاب الأدنى في قوله تعالى: ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ**﴾[السجدة :٢١] بأنّه عذاب القبر، فيرى الشيخ أنّ العذاب الذي سيذوقون أدناه وأقله، هو كالجدب، وانقطاع المطر، والخوف، والفرقة، والصّاع، وغلاء الأسعار، وفساد الأوضاع، وما إلى ذلك. أو بأيدي المؤمنين حين يأذن الله سبحانه بذلك، ثم قال: ومع وضوح هذا المعنى فقد جاء عن مجاهد وغيره قولهم" :إنّ العذاب الأدنى هو عذاب القبر، والأكبر هو عذاب جهنم "ويرد هذا القول وينفيه قوله تعالى: ﴿**لَعَلَّهُم يَرۡجِعُونَ**﴾[السجدة: ٢١] وهذا الرّجوع عن الذّنوب والتّوبة عنها وعن الأخطاء لا يكون إلاّ في الحياة الدّنيا، أمّا القبر فلا رجاء في الرّجوع أو الخروج منه إلاّ بعد قيام السّاعة"[٢٥].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَوحَينَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾[القصص:٧] ذكر أنه لا مجال لإطالة النقّاش الذي حاول بعضهم أن يطرحه حول نبوة أم موسى، ونبوة مريم لمجرد استعمال كلمة" أوحى "في سياق مثل هذا السّياق[٢٦]؛ لأنها خروج عن مقاصد القرآن وأهدافه.

نجد في الأمثلة السابقة أنّ نقد الشيخ لهذه الآراء والاجتهادات ليس لذاتها أو ذات أصحابها، ولكن ينتقدها من الناحية المنهجية، فهي لا تحقق شيئا من مقاصد القرآن ولا تلهم الأمة سبيل النهوض، بل على عكس ذلك تماما، وهذا هو النقد الإيجابي المطلوب.

ثانياً: القصص القرآني:

يتحدث الشيخ عن الغرق في كم الآثار الواردة في القصص القرآني التي تصرف عن أخذ العبرة منه، ويؤكد أنّه"لا ينبغي أن نغرق في التاريخ بتفاصيله وجزئياته، ولكن علينا أن نأخذ العِبر والدروس منه، إنّ في القرآن الكريم قصصاً تاريخية كثيرة تتعلق بأمم وحضارات، هذه القصص وأمثالها لا ينبغي أن نُشغل بجزئياتها ولا بمظاهرها كما يفعل أحياناً علماء الآثار، وإنما نُشغل بأخذ الدروس والعبر منها للمستقبل[٢٧] وقد شدّد كثير من العلماء من قبل على ضرورة عدم الوقوف عند مبهمات القرآن الكريم، أو الخوض في مسائل تبعد عن مقاصد القرآن وهداياته.

ويندرج في هذا أيضا تحذير الشيخ من البحث في أسماء الأنبياء وتاريخهم فقال:" ولن نُعنى بترجمة أحد منهم بأكثر من ترجمة القرآن التي لم تتجاوز ذكر اسم النبيِّ واسم قومه، وأحياناً اسم الكتاب الذي أُنزل عليه أو الصُّحف، ثم أهم صفحات جهاده قومَه ليؤمنوا، وعناوين الموضوعات الأساسيّة التي جاءهم بها؛ وذلك لأنَّه ليس بين أيدينا من المصادر التي يمكن الاستفادة بها للترجمة لهم– بما يزيد على ما في القرآن المجيد – سوى التوراة وما بُني عليها، واستند إليها من المراجع، وليس من منهجنا الرجوع إليها، لأنّنا معنيون بتفسير القرآن بالقرآن فقط، وليس تفسيره مطلقاً أو بقصص بني إسرائيل[٢٨]. فالخوض في تفاصيل حياة النبيّ هو خوض في مبهمات القرآن واشتغال بأمور أغفل القرآن ذكرها ليتوجه القارئ إلى المقصد والغاية المتمثلة في بيان الهداية، وتحقيق أسباب النهوض والشهود الحضاري للأمة.

وفي قصة نبي الله نوح عليه السلام التي شغل فيها بعض المفسرين بتفاصيل كثيرة، خصوصا عن حمولة هذه السفينة، وهو كلام يبتعد فيه المفسر عن مقصد القصة وغايتها، قال:" ولقد أسهبت بعض كتب التّفسير في الحديث عن تفاصيل هويات ركاب السّفينة محاولين أن يجعلوا كل من وما على الأرض نسلاً لأولئك الرّكاب، ولسنا بحاجة إلى ذلك كله، فلو أنّه في علم الله– جلّ شأنه –ما يفيد بذكر تلك التّفاصيل لأنزلها إلينا في كتابه العزيز، أما وقد سكت عنها– جلّ شأنه– فنسكت عنها أيضاً تأدباً معه– سبحانه –والتزاماً بكلامه فقط[٢٩].

وحين تناول قصة أيوب عليه السلام بالحديث، شدّد النكير على ما ذكره المفسرون من خوض في صبره ومرضه وأهله، وكل ذلك لا داعي لمعظمها، قال –رحمه الله–: "ولقد ذكر المفسرون قصصاً عجيبة في موضوع سيدنا أيوب، لا قيمة لمعظمها، وليس عليها دليل، والعلم بها لا ينفع، والجهل بها لا يضر، فلن ننشغل بذكرها، فلو أنّ في ذكرها خيراً لنا لذكره الله، لكن ما ورد في كتاب الله عن هذا النبّي الصّابر المحتسب – في مختلف سور القرآن – كاف لاستخلاص العبر وأخذ الدّروس"[٣٠].

وفي قصة مريم عليها السلام، ينتقد الشيخ فعل المفسرين الذين خاضوا في قضيه ﴿فَنَفَخنَا فِيهَا مِن رُوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١] وأدخلوا تفاصيل لا يحتملها السياق، فقال:" وليس لأحد أن يزيد على ما ذكره الله– جلّ شأنه– في هذا الأمر شيئاً، فقضية النّفخ وكيفيته وحقيقته إنما هو من عالم الأمر، وعلمه خاص به– تبارك وتعالى–، ولا وزن لما قاله بعض المفسرين من قصص كثيرة حول هذا الأمر مما لم يقم عليه دليل صادق من القرآن الكريم أو أقوال الرّسول الصّحيحة، وعلينا أن نوجِّه اهتمامنا بما في القصة من عبر عظيمة من ضرورة تحصين المرأة لفرجها، وعدم السماح لأحد أن يمسها إلاّ بما أحلّ الله، وأنّ الله قد خلق آدم من طين دون أب وأم، وخلق حواء دون أم، وخلق عيسى دون أب، فسبحان الخلاق العليم، أمّا النفّخ فنأخذ عنه ما قاله الله ولا نتعداه إلى غيره باحثين عن الكيفية أو غيرها، فما أوتينا من العلم إلا قليلا"[٣١].

وفي خوض المفسرين في تحديد شخصية الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها، يرى أنّ ما قام به المفسرون من محاولة تحديد الشخص المعنيّ، والاختلاف حول صفته لا يؤثر في قليل أو كثير في سياق القصة وما فيها من عِبَر ودروس يمكن أن تؤخذ منها، فالله جعلها آية للرجل نفسه كما جعلها للناس، فقصته كقصة أهل الكهف، وقصة الملأ من بني إسرائيل، وقصة البقرة، وقصة إحياء الطير، كلها دالة على قدرة الله – تعالى – التي تخضع لها المسخرات كلها ...[٣٢].

ويضرب الشيخ –رحمه الله– صفحا عن كل ما ورد بشأن قصة يأجوج ومأجوج من قصص وحكايات فذكر أنّ سدّهم يمنع الأذى عن جيرانهم إلى أن يأذن الله، ويأتي الوعد الحق فيجعل هذا السّد دكاً، فينطلق هؤلاء مع البشر– الذين هم سكان الأرض اليوم –من كل حدب ينسلون إلى حيث أرض المحشر والحساب والجزاء، ولا تمدنَّ عينيك إلى ما خاض فيه المفسرون من أساطير الشّعوب ومخاضاتهم والإسرائيليات وما فيها عن حقيقة هؤلاء وانتمائهم وما إلى ذلك، فكلها لا نجد لها سنداً من علم، ولا تأييداً من آثار صحيحة، ولا شيئاً من ذلك، فنكتفي بما ذكر الله –جلّ شأنه – ولا ندخل في أية متاهات أخرى[٣٣].

ويقول في قصة الغرانيق وأمثالها منتقداً من يرويها :"وجلّ أولئك الرّواة الذين رووا تلك القَصَص الخرافيَّة مدلّسون، لا تُقبل رواياتهم بحال، ولو نظر الناس في سند هذه الروايات وفحصوا أسانيدها، لوجدوها ليست مرسلةً فحسب، بل مترعةً بالبلايا في أسانيدها ومتونها، مما يجعل مجرد تداولها وتناقلها أمراً غير مقبول، ولا يُسوّغه أي مسوّغ"[٣٤].

فهذا النقد الشديد، وهذا الموقف الحازم إزاء روايات لا تصح، وحكايات لا أصل لها لم يأت إلا ليبين حجم الفراغ المعرفي الهادف الذي أصاب فكر الأمة بالشلل، وأقعده عن تقديم القرآن الكريم بوصفه قائد نهضة، ومصدر شهود حضاري. والجديد الذي يمكن ملاحظته من أسلوب الشيخ هو وصفه من ينقل مثل هذه التّرهات بأنّهم مدلسون بالمعنى اللغوي لا الاصطلاحي الوارد عند المحدثين، وهذا يوحي بمبلغ الخطر في الانجرار خلف تلك المرويات أو القصص والحكايات. ولم يشدّد عليها النكير إلا لخطرها وآثارها المدمرة على فهم القرآن الكريم وهداياته، كأنّه يقول: أيعقل أن نقدم القرآن للعالم بهذا المنهج!

ولم يحسن بعضهم فهم وجهة نظر الشيخ في تلك المرويات أو حتى في فهم منهج الشيخ في التعامل مع السنة عموماً حين زعم أنّ الشيخ يريد هدم السنة وإنكار حجيتها إلا ما دار في فلك القرآن[٣٥]. على الرغم من أنّ تقويم هذا

العمل العلمي الذي يكتنزه كتابه "إشكالية التعامل مع السنة النبوية" لا يكون بإطلاق الأحكام المتسرعة التي تؤيد صاحبه أو تنقده، ولا ينهض أيضا بالجمود على المنقولات التي لا تسندها الحجة البالغة، ولا يعضدها الدليل العلمي(٣٦).

ثالثًا: الحديث عن الجن وأشراط الساعة:

من الموروث التراثي الذي شكل صارفا عن هداية القرآن، وأورث العقلية المسلمة الكسل والخمول والتقاعس، ذلك الحديث المفصل الطويل عن الجن وأشراط الساعة وما ألحقه المفسرون بذلك من روايات وحكايات زائدة فوق القرآن الكريم. يؤصّل الشيخ منهج الفهم الصحيح ولا يقتصر على نقد المرويات أو الأفهام التي تتعارض مع النص القرآني، فحديثه عن الجن كان حديثا منسجما مع الدلالات القرآنية لا أكثر، وقطع النظر عن كل المرويات والمقولات الشعبية(٣٧).

والشيء المهم في عدّ بعض التراث معوّقا تمثل في تلك الأفهام التي لم تتبن على أسس القرآن الكريم نفسه، فالشيخ ينقض ما قاله المفسرون بشأن المس الذي يلحق آكل الربا في قوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ**﴾[البقرة: ٢٧٧] فقال: "كل هذه الدعاوى التي يكثر بعض الناس اليوم من ترديدها هي نوع من الدعاية للشيطان، والدعوة إلى التصديق بتأثيره والخوف منه، بل الاستسلام له، بل إنّ فريقاً من الناس قد أضلهم الله على عِلم قد عبدوا الشيطان وحَرَّموا الاستعاذة منه، ورأوا أن الأَوْلى للتخلص من شرّه هو مسالمته، وتقديم القرابين له، وتجنب الاستعاذة منه لئلا يَغضب عليهم، والجنون فنون"(٣٨).

يقف الشيخ عند تزيين الشيطان ووسوسته، ويبين انسجاما مع هداية القرآن أنّ الشيطان لا يفي لهم بأيّ وعد وعدهم إياه، ومع ذلك، ومع كل هذه الآيات البيّنات، إلا أنّ المسلمين قد هجروا القرآن الكريم وانصرفوا لغيره، وأخذوا بمرويات وآثار لا يصدق القرآن عليها، دون نظر إلى هيمنته وضرورة إخضاع كل شيء لوجهته؛ ولذلك وجدنا هذه القضيّة موضع استغلال شديد منذ تراجعنا، فمرّة نُسْتَدْرَج لتأويلات لا يتقبلها كتاب الله، ومرة ننفي أموراً قد تؤدي إلى الكفر ونفي ما جاء القرآن به؛ كما فعل كثير من الملحدين ومَنْ تأثروا بهم، ومِنَّا مَنْ يؤمن بتأثير للجن يتجاوز أقدار الله– جلّ شأنه –ويخترق سننه وقوانينه مثل الادّعاء بجواز أن يتزوج الجني من الإنسيّة وجواز أن تَحمِل منه، ويقبل بعض الفقهاء ذلك، وبعضهم صار يدّعي أنّ الجن قد أمره بالسرقة، وبالرشوة، وقد بلغ مِنْ تجاوز الناس لكتاب الله واهتمامهم بمرويات لا تخلو من شذوذ وعلل قادحة، وفي أسانيدها ومتونها مشكلات كثيرة، فضلاً عن أنّها لم تُفهم على وجهها، أو لم تتكشف لهم عللها في أسانيدها ومتونها، أن صار أولئك العرّافون والكهنة الجُدد من الذين ينسبون أنفسهم إلى فئة الرّقاة، الذين يستعملون ما سُمي بالرُّقية إلى المحاكم، ليستنطقهم قضاة اتخذوا كتاب الله وراءهم ظهريّاً وهجروه، ولم يأبهوا بتصديقه ولا هيمنته(٣٩).

إنّ الشيء البديع في هذا الطرح يكمن في تصوّر عميق يدركه الشيخ –رحمه الله– لآثار هذه المعوقات، فلا تكمن المشكلة في مثل هذه الروايات أو الخرافات التي تشكل حاجبا يحول دون فهم آيات القرآن فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى آثار خطيرة تلحق بالأمة كلها، بفعل يتسبب به المدمرون المخربون السفهاء الذين انصرفوا وراء الخرافة بوحي من شياطين الإنس والجنّ من أعداء هذه الأمة الذين يعملون ليل نهار لنهب ثرواتها، وتمزيق كيانها، وتدمير مقوماتها، وجعلها أُمَّةً من المجانين والمخرّفين والمشعوذين والدَّجالين؛ ليسهل الاستبداد بشؤونها، مما يجرّ على الأمة ويلات الهزيمة،

لتصبح دولة إسرائيل لا من الفرات إلى النيل، بل من المحيط إلى الخليج[٤٠].

وأكد هذا بقوله: "إنّ هذه الأمور يجب الوقوف بها عند آيات القرآن الكريم، لا نجاوزها بأي حال من الأحوال، وإلاّ فستضطرب الرؤية، وتختلّ العقيدة، وتحتار العقول، وتتفكك الأمّة، وتتجارى بها الأهواء، ولا أظنهّا في أيامها هذه في حاجة إلى مزيد من ذلك، فلديها من الأزمات ما يكفيها"[٤١].

هذا ما فات الذين أوردوا هذه الروايات والآثار إدراكه، ومعرفة عواقبه وآثاره وأبعاده السيئة على تشكيل وعي الأمة وحركتها الحضارية ومكانتها الريادية. لقد أدّت هذه المرويات إلى تثبيط الهمم وتفتير العزائم؛ ولذلك ثار الشيخ –رحمه الله– على واضعيها وناقليها ومروجيها استنهاضا منه للأمة لتصحو من غفلتها، وتنهض من كبوتها لتؤدي وظيفتها الحضارية.

وفي ميدان آخر يتعلق بالمرويات المتعلقة بأشراط الساعة وما لها من انعكاسات سلبية على فهم القرآن الكريم، يقول –رحمه الله– عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ**﴾[النمل: ٨٢] ولقد وقع خلقٌ كثيرٌ في ترديد أشراط لن تحدث إلا يوم القيامة، ولكنهم زعموا أنّ علامات صغرى وعلامات كبرى تسبق القيامة، ولعلّ منها قوله تعالى: "وإذا وقع القول عليهم"، ومع وضوح الآية وظهورها، فقد تجاوزها الناس إلى آثار كثيرة تُشبه ما كان يُعنى به بنو إسرائيل في إسرائيلياتهم؛ من الدخول في تفاصيل كثيرة حول شكل الدَّابة وطولها وطريقتها في الكلام وما إلى ذلك. ولو التفت الناس إلى أسلوب القرآن الكريم وهو يقول:"وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم"، فوقوع القول ينبّه بوضوح إلى أنّ الحياة الدنيا تكون قد انتهت وحق على الناس القول، بل وقع القول، وبدأت أحداث اليوم الآخر، وخرجت الدابة لتكلّم أولئك الكافرين[٤٢].

ويتابع قائلاً: "لكن الذين شغلوا الأمّة بأحاديث الفتن، وأشراط الساعة، وقبلوا فيها الموضوع والضعيف والمعلول وصحَّحوه، كانوا يستغلون– في غالب الأحيان –أحوالا من الضيق والضّنك والمحن والحروب والفتن تمر الأمّة بها، فيتعالمون عليها، ويحاولون إعطاء تفسيرات لتلك الأحداث، لا تعالج أمراض الأمّة، ولا تشكّل فيها دافعيّة نحو التغلُّب على حالتها، بل تزيد من يأسها وقعودها واستسلامها وإيهامها بأنّ كل ما يحدث إنّما هو قدر مقدور لا رادّ له ولا دافع، فرسول الله قد تنبّأ به، وقد أخبر، ثم قال:" وما دام الأمر كذلك فعليها أن تستسلم لكل حدث، وتخضع لكل جبّار، وتنتظر ما يأتي بعد ذلك بدلاً من أن تقوم بواجبها في الإصلاح والتغيير، والأمر بالمعروف. وإذا كانت هناك بعض أحاديث صحيحة، تناولت أموراً مثل الفتن والهرَج والحروب، ومعاداة الأمم الأخرى، واجتماعها ضدّ هذه الأمّة، فإنّما هي تحذير من السقوط في أحوال تؤدي إلى ذلك في غالبها، فحين يحذّر الله– تعالى –في القرآن من أن تسلك هذه الأمّة سلوك بعض من سبقها، فتتخلى عن حمل الكتاب حملاً إنسانيّاً، والعناية به، وتتساهل في وحدتها، وتهمل دعوة الناس إلى صراط الله، وتضعف قبضتها عن التمسك بكتاب الله، فإنّ ذلك سوف يؤدي إلى ضعفها وتفرُّقها، وتشتّت شملها، وتكالب الأمم ضدّها، وما إلى ذلك، فما صحَّ من هذه الأحاديث، مسوقٌ لتحذير الأمّة من أمور حذّرَ القرآنُ منها، ونهى عن السقوط فيها، أو التساهل في إبرازها والتهاون في مقاومتها؛ كي لا تؤول أحوالها إلى الوهن الذي حذّر القرآن منه، وحذّر رسولُ الله منه كذلك[٤٣].

وأمّا تلك الأحاديث الواردة في التجديد، وأنّ هذه الأمّة لن تخلو من المصلحين والدعاة إلى الله، وإلى سبيله السويّ المستقيم، فذلك لدفع اليأس عن قلوب المؤمنين، وإعطائهم الآمال التي تُقَوّي الدافعيّة لديهم للإصلاح والتجديد والجدّ والاجتهاد والجهاد في سبيل الله، فهي أمّة أراد بنوها ومؤسسها رسول الله أن يجعلها قادرة على أن تنهض بسرعة إذا ما كبت، وأن تُفيق إذا ما غفلت، وأن تُجدّد نشاطها إذا ما فترت، وأن تكون قادرة على الحيلولة دون ظهور الظلم فيها أو الانحراف، فلا يليق بها أن تقعد عن مهامّها تلك، وهي الأمّة التي أراد الله لها أن تكون وسطاً شاهدة على الناس. وبذلك يكون دور تلك الأحاديث دور المنبّهات والمنشّطات للدافعيّة، لكن من المؤسف أنّها تحوّلت –على أيدي أولئك الغافلين– إلى أمراض فتّاكة في عقل الأمّة وجسدها، تُقعدها عن النهوض، وتصرفها عن مقاومة الأمراض، وتدفعها إلى الاستسلام لأسوأ الأمور، وهذه الأمور لا بدّ من إخضاعها للقرآن المجيد أولا وثانياً وثالثاً؛ لأنّها أمور تتعلق بالعقيدة وبالرؤية الكليّة، فلا تؤخذ إلا من يقينيّات القرآن وقطعيّات آياته وسوره، وإلا فإنّ معتقدات الأمّة ورؤيتها سوف يُصيبُها الدمار والخراب والعياذ بالله[٤٤].

رابعًا: القراءة المجتزأة: قراءة العضين:

لعل عدوى الأمم السابقة انتقلت إلى هذه الأمة فأصبحت تفرّق بين آيات القرآن الكريم فتنظر في بعضه وتترك الآخر، وما الفرق التي نشأت إلا تعبير واضح عن هذا التشرذم، سببه تلك النظرة الجزئية التي سادت فهم القرآن الكريم، وقد نجمت عنها آثار سيئة، فمزّقت الأفهام وشتتت الجهود في تحقيق الشهود الحضاري. ولطالما حذر القرآن من قراءة العضين هذه[٤٥].

هذه التجزيئية في التعامل مع آيات القرآن اتخذت معلماً واضحاً، وكأنّه منهج متبع، خصوصا حين نرى الشيخ يصف الكتب الفقهية بأنها التزمت أطراً موضوعية تعتمد أحياناً كثيرة على اقتطاع الآية من سياقها، أيّا كان ذلك السياق، ووضعها في إطار موضوعي مثل كتاب الطهارة وكتاب الصلاة ...[٤٦] يرى الشيخ –رحمه الله– أن السبب الرئيس لنشأة هذا التراث التجزيئي للنصّ، هو عدم الوقوف على الدلالة الحقيقية لمفاهيم القرآن، والتي لم تنشأ عبر استقراء النصّ القرآني، بل تمّ فرضها فرضًا على النصّ"[٤٧].

ومن يذهب إلى أنّ الإيمان بمحمد ﷺ ليس شرطا في دخول الجنة، بالاعتماد على قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ**﴾[البقرة: ٦٢] هو قارئ مجزّئ للقرآن عضين، جاهل أو متجاهل لعادات القرآن وأسلوبه في معالجة القضايا[٤٨].

لقد وظف أصحاب هذه النظرة قوله تعالى: ﴿**سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖ**﴾[الأنعام: ١٤٨] ليحتجوا بتأويلات باطلة، معتمدين فيها على أوهام، يختصمون في القرآن ويختلفون فيه، ويضربون آياته بعضها ببعض... "هذه الأفهام الخاطئة ليست جديدة على هؤلاء الذين يقرؤون القرآن عضين، ويفرّقون بين آياته بشتى أنواع الفوارق التي تمليها عليهم شياطينهم ورغباتهم، فإذا كان المشركون فيما سبق اعتذروا بعذر عام هو "سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء" فهؤلاء يرتبون اعتذاراتهم بشكل آخر، كالمسوّغات التي أشرنا إليها؛ من

التصرّف باللغة والانحراف في المفاهيم والتلاعب بالمصطلحات. وظاهر من تحويل الزنا إلى مجرد شيء بين الإنسان وربّه –ليس للجماعة دخلٌ فيه إلا إذا أعلن –نرى فيه تمهيداً للتقليل من أهميّة هذه الجريمة وخطورتها، وتحويلها إلى شأن شخصيّ يخضع لرغبات الفاعلين، وفي ذلك تدمير للأسرة وللمجتمع والحضارة والمدنيّة، أعاذنا الله من الانحراف بكل أنواعه وأشكاله(٤٩).

ولعل أوضح الأمثلة على ذلك ما ذكر الشيخ عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَردا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] فقد انتقد المفسرين الذين حاولوا استثمار هذه الآية في الانتصار لمذاهبهم خاصة الجبرية والقدرية من جهة، والأشاعرة والماتريدية والمعتزلة من جهة أخرى، وحاولوا أن يُعَمّموا ذلك، لا في مذاهبهم التّفسيرية وحدها، بل في أصول الفقه وفي الفقه نفسه(٥٠). من حيث التعليل وعدم التعليل لأفعال الله وأحكامه في القرآن الكريم، والمشكلة – عند الشيخ – ليست عند من يقول بالتعليل، ولكن عند من ينفي التعليل. قال –رحمه الله–:

"والذين رأوا أنّ القول بالتّعليل هو نفسه القول بالغرض وأنّه ينافي التّوحيد وقفوا من التّعليل ومن حقيقته موقفاً آخر يتفق مع مذهبهم ذاك. ولقد أثرت تلك المذاهب تأثيراً سلبياً شديداً في نظر العقل المسلم؛ إذ هيّأت العقل المسلم لأزمة تجاهل الأسباب، أو عدم ربط الأسباب بالمسببَات، وألقى ذلك كثيراً من الغبش على قانون السّببية، وهيّأ الأذهان لإنكار قانون السّببية أو التّقليل الشّديد من أهميته والقول بالجبر، وشاعت أمراض فكرية كثيرة بين المسلمين نتيجة لذلك، فكثيرون توهّموا أنّ هناك تنافياً بين السّببية والعِلّية والتّوكل، وبينها وبين الإيمان بالقضاء والقدر، وألقت تلك الأفكار والمناقشات بظلالها السّيئة على مفهوم القدر نفسه، وأصبح المسلم يميل إلى التّواكل والكسل، وإنكار الاختيار الإنساني، وإنكار تأثير الأسباب، وشاعت تلك المقولات التي تدعي أنّ الأسباب لا قيمة لها وأنّ الأشياء تخلق عندها لا بها، فالنّار لا تحرق ولكن الله يخلق الحرق عند مماستها، وهم يعلمون أنّه ما دام الحرق قد حصل بمماسة النار، فسواء كان بخلق الله الحرق عندها أو بها فهما سواء وتحصيل حاصل، ولِمَ لا يقال :إنّ سنة الله في النّار أن تكون محرقة؟ !ولله أن يوقفها عن الإحراق خرقاً للسُنة التي خلقت بها، فقال تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَردا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبرَٰهِيمَ﴾[الأنبياء: ٦٩] لكن تلك الوسوسة التي حدثت جرّت إلى ذلك كله، والله تبارك وتعالى قد قال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم وَمَا تَعمَلُونَ﴾[الصافات: ٩٦]. فهو خالق النار وخالق الإحراق بها، وهو جلّ شأنه –القادر على أن يوقفها إن شاء، أو يعطلها إلى غير ذلك، لكنهم بجدالهم ذلك وبتناسيهم لكثير مما جاء القرآن به أحدثوا ذلك الشرخ في العقل المسلم وأوقعونا في تلك الأزمة، والله– جلّ شأنه –حين ذكر قصة ذي القرنين قال ببساطة ويسر: ﴿وَءَاتَينَٰهُ مِن كُلِّ شَيء سَبَبا * فَأَتبَعَ سَبَبًا﴾[الكهف: ٨٤–٨٥]، فالسببية قانون إلهي لا يسع مؤمن بالله واليوم الآخر أن يتجاهله أو يقلل من شأنه، أو ينفي آثاره"(٥١).

ويتساءل الشيخ مستغربا كيف تناقلت الأجيال مثل هذه الحكايات، وكيف تأثر العقل المسلم بها حتى وصل إلى هذا المستوى من الانحطاط ؟ إنه ترك الأخذ بالأسباب(٥٢).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرسَلنَا مِن قَبلِكَ مِن رَّسُول وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلقَى ٱلشَّيطَٰنُ فِيٓ أُمنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلقِي ٱلشَّيطَٰنُ ثُمَّ يُحكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيم... الآيات﴾[الحج:٥٢–٥٤] قال: "هذه الآيات الكريمات من

هذه السورة الكريمة كانت موضع جدل كبير؛ ذلك لأنَّها اقتُطعت من سياقها، وعُوملت وكأنّها آياتٌ مستقلة، يجري التعامل معها واستخلاص معانيها منها وحدها، فلم يُلْتَفت إلى وجودها في هذه السورة، التي محورها الأساس الإعلان عن التمكين لرسول الله ﷺ ولرسالته وللمؤمنين به، وجاءت روايات باطلة تقول :إنّ هناك واقعةً جرت لرسول الله ﷺ"[٥٣] ثم ذكر قصة الغرانيق ...

هذه مشكلات سادت التراث التفسيري على تفاوت بين المفسرين: اقتطاع الآية من سياقها، والنظر في بعض الآيات دون نظرة شاملة للآيات ذات الموضوع الواحد، وفهم الآية بحرفية وسطحية دون النظر إليها في سياقها ومقصدها... كل ذلك من التجزيئية التي تنتج أفهاماً سلبية، وتقزم النص من التحليق في سماء المعاني الهادفة إلى بناء الأمة فكراً وعلماً ينتج شهوداً وعمراناً.

المبحث الثالث: المعوقات الناتجة عن الأفق المعرفي للمفسر.

من أبرز المعوقات التي تحول دون تفهّم القارئ للقرآن الكريم – في نظر الشيخ– الشروط والمعرفة اللازم توافرها في المفسر، فقديماً وضعوا شروطاً أوصلها السيوطي إلى ستة عشر شرطا[٥٤]، اختلطت فيها علوم الآلة بعلوم الغاية، أما الشيخ –رحمه الله– فقد اهتمّ بالشروط التي تشكل الأفق المعرفي الذي ينبغي أن يكون عليه المفسر، والذي ينبني على تصوّره لحقيقة القرآن الكريم وغايته ومقصده، هذا التصوّر هو الذي يتشكل من خلاله أفق المفسر وثقافته، وهذا لا يعني إهمال ما وضعه العلماء من شروط تؤهل المفسر للنظر في كتاب الله تعالى. وغياب هذا الأفق يشكل عائقا كبيراً يحول دون فهم مقاصدي للقرآن الكريم. ومن خلال النظر في تفسيره نجد أنّه يرى أنّ معوقات أهم وأولى ينبغي أن يقف عليها المفسر، وقد ذكر بعضها صراحة وبعضها ضمنا وأحيانا يتداخل بعضها مع بعض.

فعدم الإحاطة بعادات القرآن الكريم ولسانه الخاص، وإدراك المقاصد العليا للقرآن الكريم، ومعرفة الآثار الناجمة عن تحنيط نصوص القرآن فيما يعرف بالنسخ[٥٥]، إضافة إلى الوقوف على الوحدة البنائية لسور القرآن الكريم، والتي تجلت كثيراً في محاكماته المفسرين في ضوئها، كل ذلك من المعوقات. وفقدان هذه الأدوات يتسبب في حواجز سميكة تحول دون فهم القرآن فهما يقود إلى بعث حضاري وبناء عمراني.

ولربما نرى في هذه المعوقات موروثا تراثيا حق لبعضها أن يتقدم ليكون في المبحث الثاني، لكن آثرنا إيراده هنا ليكون أفقا معرفياً يسبب فقده خللا واضحا في ثقافة المفسر ينعكس بعدها ليكون معوقاً مؤثراً، وسنعرض مظاهر الخلل في هذه الثقافة حتى لا تعود معوّقاً.

أولاً: قضية النسخ:

كثيراً ما كان الشيخ –رحمه الله– يقول: القرآن والسنة لا يتناقضان ولا يتضادّان ولا يتعارضان[٥٦]، وهذا أصل معرفي يفهم القرآن وتفهم السنة في ضوئه، ويؤدي فقدانه إلى جعل آيات القرآن في مواجهة بعضها، فأيّ معوق أكبر من هذا؟ وأيّ أفق أضيق من هذا؟ لذلك، كان ضرورياً بناء تصوّر صحيح عن غايات القرآن ومقاصده وأسلوبه وعاداته

قبل البدء بتفهمه وتفسيره.

من المعوقات التي شدّد الشيخ النكير عليها موضوع النسخ، وما له من آثار سيئة على الفكر الإسلامي عموماً، وعلى منهج التعامل مع القرآن خصوصاً. ويرى أنّ الوقوف على هذا الموضوع ضرورة من ضرورات فهم القرآن، وهو من الزاد المعرفي الذي يمثل فقده خللاً واضحا في فهم كتاب الله تعالى. وموضوع النسخ يشكل معوّقاً من جهتين، من جهة الجهل بآثاره، ومن جهة تطبيقاته التي ورثناها ونفصل الحديث عنه على النحو الآتي:

يؤكد الشيخ كون النسخ معوّقاً بقوله:" وأما تلك الروايات التي رويت بناءً على هيمنة أفكار النسخ، والنظر إليه على أنَّه من المسلَّمات، فإنَّها لا تقف أمام هيمنة القرآن الكريم على ما عداه، ولا تصلح لنسخ حاكميته لجعل غيره حاكماً عليه"(٥٧)؛ لأنّ تعطيل أحد الحكمين، ووقف العمل بآية قرآنية له آثاره التي تتنافى مع قدسية كلام الله تعالى.

ويرى الشيخ –رحمه الله– في العقل التجزيئي معوّقاً من معوقات فهم القرآن الكريم الذي يأبي إلا أن يقول بالنسخ ولو كان السياق لا يحتمل ذلك، فالآية التي جعلوا منها دليلاً على وقوع النسخ شرعاً وعقلاً هي قوله تعالى: ﴿**مَا نَنسَخ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ**﴾[البقرة: ١٠٦] مع أنّ سياق الآية ينفي ذلك كله، فالآية دليل على نسخ آية بني إسرائيل، وأنّ الله تعالى استبدل بأمَّتهم هذه الأمَّة، وما أُنزل إليهم بهذا الكتاب المبارك، لكن العقل التجزيئيّ الذي ظنّ أنَّ بإمكانه أن يقتطع أيّة آية من سياقها، بل جزء آية ويبني عليها ما شاء هو الذي جرّ إلى تحميل هذه الآية الكريمة ما لا تحتمل(٥٨).

والمنطق عند الشيخ في هذا هو الدليل، فقد طالب بالدليل وعقلية المسلم هي التي تطلب الدليل والبرهان، ولا تقبل شيئاً لمجرد قصة تقال أو خبر يذكر، وإنما هاتوا برهانكم، والدليل القاطع على صدق ما تقولون(٥٩) وذمّ كثيرا أولئك الذين يزعمون أنهم يقدمون النقل على العقل مبيّنا أنه لو كان عندهم عقل لأحسنوا فهم النقل(٦٠).

واعترض الشيخ على موضوع النسخ في فهم آية المتوفى عنها زوجها ظناً منهم أن مورد الآيتين واحد... قال: ولو لاحظوا الأمور الأخرى لحكموا بإحكام الآيتين، وأنَّه لا نسخ بينهما، فكل منهما اتجهت جهة، فالآية الأولى متجهة نحو الزوجة في بدنها ونفسها ورحمها وخروجها من تأثيرات مصيبة الموت، أما آية الحول فهي وصية من الله – تبارك وتعالى– للأزواج(٦١).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿**لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ**﴾[البقرة: ٢٥٥] قال –رحمه الله–: "وقد جاءت الآية بهذه الصياغة الشاملة للنفي والنهي معاً، ووضعها في صيغة الخبر، **لكي لا يَدَّعي مُدَّعٍ القول باحتمال نسخها**– لدى القائلين بالنسخ–، ولقد هفا بعض العلماء– وهفوات الكبار على أقدارهم –حين عدّ هذه الآية مما نُسخ بآية السيف"(٦٢).

فالشيخ –رحمه الله– يتحفظ على كل قول بالنسخ لمخالفته أعمدة مهمة في صفات البيان القرآني كالحاكمية والهيمنة، ففي ضوئهما ينبغي أن تفهم آيات القرآن وهداياته، وهما من المعارف المهمة التي ينبغي أن تكون حاضرة في ذهن المفسر. ومن هذا الأفق يطلّ المفسر على آيات القرآن يفهمها.

وهذه الآيات وإن كان الشيخ قد سبقه علماء كثيرون أنكروا نسخها، إلا أنّ معتمد الشيخ في نفي النسخ يرجع إلى صفات القرآن الكريم نفسه.

ثانياً: الوحدة البنائية:

الوقوف على سياق الآيات وعدم تشتيت فهمها، والنظر في الرباط الناظم لآياتها، فضلاً عن نفي التعارض والتضادّ والتناقض بينها مما يشكل الوحدة البنائية في القرآن الكريم التي تعدّ المعيار الحاكم لفهم آيات التنزيل، "والتي تعطي التصور الشامل عن أيّ موضوع دون تجزيئية"(٦٣) كذلك، الارتباط العجيب بين الموضوعات داخل السّورة، يؤكد انتظام الوحدة البنائية في كلّ سورة من سور الكتاب الكريم؛ إذ يجعل كل مُتدبر يمعن النّظر في سبب وجود كل آية داخل كل سورة، فهي بالتّأكيد مرتبطة بمحور السّورة الأساس"(٦٤). فلو درس المفسر آيات السورة في ضوء هذه الوحدة وانشغل بتطبيقها لما نتجت عندنا أقوال كثيرة تشتت فهم الآية الكريمة وتبتعد عن مقصودها، وقد أشار لذلك في مواطن كثيرة من تفسيره، وهذه نماذج منها:

عند تقديمه لسورة الأنعام، قال:"لقد ذكر المفسّرون أقوالاً كثيرة حول المدني في هذه السُّورة– بناءً على ما قرّروه من مواصفات لأساليب السُّور المكيّة وأساليب المدنيّة –وإيماننا بالوحدة البنائيّة للسُّورة يُغنينا عن الإسهاب والإطالة في نقل ما قالوه، واختلافهم فيه ومناقشته؛ إذ إنّ الوحدة البنائيّة للسُّورة تجعل منها، بعد الترتيب الأخير، والعرضتين بين رسول الله وجبريل –غير ذات موضوع، وكذلك ما يتعلق بأسباب النزول؛ إذ إنّنا نؤمن بأنّ القرآن قد أخذ صفة الإطلاق التام بعد العرضتين وإعادة الترتيب، وقطع ما بينه وبين ما عرف بأسباب النزول"(٦٥). كأن الوحدة البنائية تعكر صفو بعض علوم القرآن الكريم، فالانشغال بها أولى من الانشغال بتلك العلوم.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيكُمُ ٱلمَيتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحمَ ٱلخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيرِ ٱللَّهِ**﴾ الآية [البقرة: ١٧٣]، قال: وقد تحدّث الفقهاء والمفسرون في تفاصيل كثيرة داخلةٍ في هذا المجال يمكن لطالب التفاصيل أن يراجعها، أما نحن فنقف عند ما وقف القرآن عنده من أنَّ الميتة بكل أجزائها، والدّم بكل أنواعه، ولحم الخنزير– كله –محرمٌ أكله؛ لأنَّ الآية جاءت في معرض الكلام عن الأكل والمستثنيات من حِلّ الأكل(٦٦). فالالتزام بما تهدف الآية إلى تحقيقه ضرورة تمليها الوحدة البنائية في السورة الكريمة.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَوَهَبنَا لَهُۥ إِسحَٰقَ وَيَعقُوبَ نَافِلَةً**﴾[الأنبياء: ٧٢] ذكر اختلاف المفسرين فيمن هو النافلة ومن هو النعمة الأساسية، فقال: "وهنا نجد بعض المفسرين حاول أن يحدّد من هو النافلة ومن هو النّعمة الأساسية! فدخلوا في خلافات شديدة لا دليل لها ولا سند من القرآن يعضدها، في حين أنّ القرآن المجيد قد حسم الأمر بقوله تعالى: ﴿**وَٱمرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَت فَبَشَّرنَٰهَا بِإِسحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسحَٰقَ يَعقُوبَ**﴾[هود: ٧١] فبينت الآية أنَّ النّافلة هو يعقوب ﷺ؛ مما يدل على أنَّ كثيراً من المفسرين لم يكونوا يلتفتون بقدر كاف إلى الوحدة البنائية للقرآن، ولا إلى محاولة تفسير القرآن بالقرآن، بل تأثروا بقصص الأنبياء، خاصة ما ورد في كتب اليهود والنصّارى، ولا ندري كيف استساغوا ذلك وصاروا إليه، عفى الله عنهم وعنا(٦٧).

ويوظف الوحدة البنائية في فهم قضية النظر والبصر في القرآن الكريم الواردتين في سورة النور، وانسجام استخدام كل مفردة مع موضوعها في سياقها، فالبصر واسع، ومحيطه يشمل كل المرئيات في النظرة الواحدة، وسورة النور تكلمت عن الفواحش والأعراض والإفك وحفظ المجتمع من الشّائعات وآداب البيوت والدّخول عليها وحفظها، وكل ذلك مرتبط أيّما ارتباط بقضية النّظر، فالسّياق يحدّثنا عن حرمة البيوت وآداب الدّخول عليها وآداب حفظها ثمّ تلاه الأمر بغض

البصر، كأنّ الأمر بالغض يشمل النظّر داخل البيوت، فيأمن كل ساكن على عرضه وعوراته... وسبق آياتَ الإفك آياتُ الفواحش، فالغض من البصر يقي المجتمع من السّقوط في الفواحش، فارتباط السّياقات القرآنية شديد، وله دلالات عميقة، يراها من تدبّرها خاصة بداخل السّورة الواحدة ذات الوحدة البّنائية المترابطة فنجد الأمر التّالي بعد الغضّ من البصر هو حفظ الفرج، كدلالة أساسية على مدى ارتباطهما معاً ومع باقي سياق السّورة الكريمة(٦٨).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا**﴾[البقرة: ٢٨٦] ذكر خوض المفسرين في مسألة تتعلّق بتكليف ما لا يطاق، قال –رحمه الله–: تناول علماء أصول الفقه فيما تناولوه مسألةً أسموها بمسألة تكليف ما لا يُطاق، وأكثروا الجدل فيها وحولها، وأطالوا القول في أنّ لله أن يكلّف ما لا يُطاق، وأنه جائزٌ عقلاً، وزعم بعضهم أنه واقع وأخذوا وأعطوا في ذلك، والآية نصٌ في أنّ الله – تبارك وتعالى – لا يكلّف نفساً إلا وسعها، وأنه لا يكلّف نفساً إلا ما آتاها، وأن للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت، ليست الآثار والروايات غير الصحيحة التي ينبغي أن يتوقف إيرادها في كتب التفسير، بل إنّ إطلاقية الآيات القرآنية والوحدة البنائية ليقضيان بدفع كثير من العوائق في فهم نصوص القرآن الكريم(٦٩) ويؤكد إنّ هذه مسألة نمّت عن سؤال خاطئ وهو: هل يجوز لله أن يكلف بما لا يطاق، وذكر أن رفع الحرج والمشقة مقصد قرآني ...(٧٠).

فالوحدة البنائية محدّد منهجي ومعرفي في الوقت نفسه، والمفسر لكتاب الله تعالى إن غاب عنه هذا الأفق فسيتأزم في فهم آيات الكتاب وهدايته.

ثالثًا: الجمع بين القراءتين:

عدّ الشيخ –رحمه الله– منهج الجمع بين القراءتين محدّدا منهجيا ومعرفيا يورث فقده مشكلات ومعوقات في فهم القرآن الكريم، وللشيخ –رحمه الله– إسهامات عديدة، ومحاضرات كثيرة في تأصيل قضية الجمع بين قراءة الكون وقراءة الوحي في آن معاً. وظهرت هذه القضية جلية واضحة في تفسيره لسور معدودات من كتاب الله تعالى، وسرّ هذا الاهتمام بهذه القضية أنّ الشيخ –رحمه الله– أخذ على السابقين عدم تقديمهم القرآن بوصفه كتاب نهضة وشهود حضاري مما أورث تخلفاً في مسيرة الأمة في عقود مضت، واستمرار التعامل مع القرآن بهذه الصورة سيورث مزيداً من التخلف والسقوط الحضاري، ولذلك رأى في الجمع بين القراءتين سبباً مهماً ومنهجاً قويماً في التعامل مع القرآن الكريم فهماً وتفسيراً، وهو أفق معرفي بالغ الخطورة حين يغفل عنه القارئ المفسر لكتاب الله تعالى.

بل يتجاوز الأمر ذلك حين يقرر بأفق واسع، وتصوّر دقيق أنّ النبوة حين انتقلت من طور العائلة والقوم إلى طور الأمة كهذه الأمة التي أراد القرآن أن ينشأ إنسانها ليكون إنسان الجمع بين القراءتين ليقوم على خمس دعائم: التوحيد والتزكية والعمران والدعوة والأمة(٧١). هذا الإنسان هو ثمرة ذلك الأفق الواسع لدى المفسر وهو ينظر في القرآن الكريم لتفسيره.

ويتأكد ذلك أن سرد مكونات الكون بعيدا عن ربطه بالخالق لا يحقق "الجمع بين القراءتين"(٧٢) وهي رسالة للمفسر أنّ مبدأ الجمع بين القراءتين أصل مهم في فهم آيات التنزيل، وأنّ غياب هذا الأفق المعرفي سيولد نظرات متخلفة.

ومما ورد من أمثله تؤكد ذلك وتوضحه:

أنّه عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ**﴾[طه: ٦] قال: "ولو أنّ الأمّة التزمت بما التزم به رسول الله وجيل التّلقي

من الجمع بين القراءتين، لربما اكتشفت الأمّة ما تحت الثّرى من وقت بعيد، وأسّست الحضارة المنشودة عليها؛ فالحضارات قد تنقدح أفكار تأسيسها وبنائها من النّظر في ما تركته حضارات سادت ثم بادت في باطن الأرض"[٧٣].

وينظر في سورة الروم ويتدبر سياق آياتها ليقول بعد ذلك: "والسورة بعد ذلك أُنموذجٌ للسور التي جمع القرآن فيها بين القراءتين؛ قراءة الوحي، وقراءة الوجود، وهي أُنموذج متميزٌ لقراءة الجمع بين القراءتين، فهي تجول في الإنسان جَوْلات سريعة متعمقة في جوانب الكون وفي جوانب الوحي، وفي مقدور الإنسان القارئ الجيد أن يلحظ منهجها في الجمع بين القراءتين في جميع آياتها"[٧٤].

ويطلب من علماء الجمع بين القراءتين، المدركين حق الإدراك لتفاصيل النشأتين أن يدركوا العلاقة بين الإنسان وتاريخه والمحيط الجغرافي الذي يعيش فيه، وتداخله مع شعوب الأرض الأخرى، من عدمه، وتداخل اللغات، وتناقلها، ونموها، أو ضمورها، وآثار العوامل المختلفة في انتشار لغة، وضمور أخرى؛ فنحن اليوم– وقد اخترع غيرنا من الغربيين واليابانيين جميع الإلكترونيَّات الحديثة، والأجهزة المعقدة المتطورة –نستجديهم استجداءً، أن يحسبوا حساب اللغة العربيَّة؛ لنتمكنَ من استعمالها بلغتنا، لكنَّ جُلَّ العالَم يستخدم لغات المخترعين، والمطورين لهذه الأجهزة؛ مهما تعقدت لغاتهم؛ كاليابانيَّه والصينيَّة، أو تيسرت؛ كالإنجليزيَّة وغيرها، فانتشرتْ لغاتهم، وانكمشتْ لغتُنا؛ فلم نعد قادرين على دراسة العلوم الحديثة كافَّةً بلغتنا، فحصل لدينا ما يشبه الضمور الفكريّ، بعد توقف لغتنا عن المشاركة في بناء العلم والتقنية وما إليها![٧٥].

يبين الشيخ –رحمه الله– دعوة القرآن الدائمة في حديثه عن الكون العقل إلى الجمع بين القراءتين لتحقيق توحيد الله تعالى، ويستشف من قوله تعالى: ﴿**ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ**﴾ ما يمثل شرط تحقيق العمران، وهو: تذليل العقبات الفكريَّة أمام ارتياد العالم والانطلاق خلاله والشغف بفهم، هذا شرط طبيعي يسبق محاولة عمران الكون، تحقيقاً للاستخلاف، فلا عمران دون فهم للعالم، وتأمل لسننه في البدء، ولا فهم ولا تأمل دون تذليل العقبات التي من شأنها أن تعيق ذلك، ولو فكرنا نظرياً، أو تأملنا التاريخ سنجد هناك كثيراً جداً من الأمور التي تقف عائقاً فكريا أمام محاولة فهم العالم[٧٦].

فالجمع بين القراءتين هو ما يراه شيخنا ضرورة لازمة للمفسر؛ لأنّ من خلاله يستطيع أن يقدم القرآن الكريم للأمة والعالم بوصفه كتاب نهضة وشهود حضاري.

المبحث الرابع: منهج التدبر لكتاب الله تعالى.

لم يقف الشيخ –رحمه الله– عند حدود التسطير والتنظير في بيان المعوقات الصارفة عن فهم كتاب الله تعالى، بل اقترح من الحلول ما يمكّن من تجاوز هذه المعوقات، فكان منهج التدبر هو ما توصل إليه بعد رويّة وطول نظر، فقد كتب الشيخ وحاضر أكثر من مرة عن التدبر، والتدبر والتفسير، ومعوقات التدبر، وعوائق التدبر، وكيفية التدبر، ومفاهيم التدبر وأهمها: التدبر وسيلتنا إلى فهم القرآن الكريم. إنّ التدبر بمنهجه الذي وضعه هو الذي يشكل هذا انطلاق نهضة، وبعث إسلامي حضاري كبير.

وهو منهج يعيد التوازن في فهم القرآن، ويوجّه بوصلة هذا الفهم إلى غايات القرآن ومقاصده، ويجعل فهمه قائد حركة نهضة وشهود حضاري، بل يقدّم القرآن للإنسانية كلها لتحقيق عالمية رسالة هذا الخطاب الإلهي، رسالة الهداية والرحمة.

يؤكد الشيخ –رحمه الله– هذا ولم يتردد في أن يقول:" إنّ بعض التفاسير قد وقفت حاجزاً بين القرآن والقرّاء، وربما حرمت بعضُ التفاسير القرّاءَ من حسن استجلاء معاني القرآن العظيم، ومحاولة التدبّر فيها وتعقّلها وتذكّره"(٧٧).

ويبين كيف يتخلص القارئ من هذه المعوّقات ويجعل التدبر منهجا يعوّل عليه في إزالة الحجب من جهة، ومن انكشاف أنوار القرآن وتبدّيها للقارئ والمفسر من جهة أخرى. قال –رحمه الله–: "إنَّ القارئ إذا لم يجد آثار القرآن في قلبه، وأنوار تدبرّه في نفسه وعقله ووجدانه فلا يلومنّ إلا نفسه؛ فليصلح من شأنها، وليقم بمعالجتها؛ لِتُحْسِنَ التلقي"(٧٨)؛ لأنّ تلقي كلام الله بقلب بارد أو عقل جامد، أو عاطفة ساكنة، والنظر في كلام الله على أنه كأيّ كلام لن ينفع القارئ في شيء، ولن يرقى به إلى شيء.

يعرف الشيخ التدبر بقوله:" التدبُّر هو التفكر فيما وراء الظواهر، ومعرفة أدبار الأمور، وعواقبها، وما لا تراه العين للوهلة الأولى منها، فالقرآن خطاب مفتاحه التدبُّر، أي: أن يُقبلِ القارئ المؤهّل الذي هيّأ قوى وعيه ووسائل إدراكه لتدبُّر القرآن الكريم بعقل علميّ لديه من المعرفة والاستعدادات ما يعينه على تدبُّر هذا الخطاب، ومعرفة المراد به"(٧٩).

فالتدبر هو المنهج الذي يطرحه الشيخ ليعالج به المعوقات التي تحول دون تفهم آيات القرآن الكريم، وليرقى القارئ إلى مستوى الخطاب، يقول –رحمه الله–:"التدبُّر ضروريٌّ ليقوم بقيادة القارئ للتّفاعل مع الخطاب القرآنيّ، ومعرفة دوره بالنسِّبة إليه، فالتدبُّر" يقود القارئ إلى التّفاعل مع الخطاب. وهنا يجد القارئ نفسه وجهاً لوجه في مواجهة الخطاب فيستدعي التاريخ وآفاق الفهم، ويؤسس للعلاقة مع الخطاب .إنَّ التدبُّر يجعل القارئ يبحث عن المعنى الذي ينشأ نتيجة تفاعله مع الخطاب لا عن المعنى "الكامن أو المكنون" فيصبح المعنى– آنذاك – أثراً تمكن ممارسته، لا موضوعاً يمكن تحديده"(٨٠).

ويرى أنّ التدبر ضرورة لبناء العقل وإنماء قوى الوعي قرآنياً، فهو الذي يهيئ الإنسان وقواه العاقلة لتلك المهام العظيمة التي تنتظر الإنسان في هذه الحياة: مهام تحقيق التوحيد والتدثُّر بالتزكية، والتحلّي بالعمران، وإقامة بناء الأمَّة، وحسن القيام بالدعوة، ودون ذلك تكون القراءة هذرمة، ويكون الاستماع قليل الأثر(٨١).

من هنا – يؤكد الشيخ– أنّ مَنْ رُزق مداخل التدبّر ومداخل الولوج إلى رحاب القرآن المجيد يجد نفسه قادراً على الوصول إلى ما لا يمكن أن توصّله إليه المعارف الأخرى، ومنها المعارف التي سُمّيت: المعارف أو العلوم الشرعيّة(٨٢).

بل يرى أن التدبر سينتج إنساناً حضارياً بمواصفات قرآنية راقية شريطة أن تكون الغاية من التدبر لدى القارئ واضحة، وأن يتلو القرآن حق تلاوته، وأن يعمل على تفهم معانيه، ويجعل منه موجهاً له في بناء نفسيّته، وعقليّته، ومنهجاً قويماً؛ لتكوين شخصيّته، وتقويمها، وأن يجعل من القرآن الكريم منهجاً لحياته؛ ليكون ممن قيل فيهم ﴿**ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلفِردَوسَ هُم فِيهَا خَٰلِدُونَ**﴾[المؤمنون: ١١] وإذا فعل القارئ ذلك؛ فسيتمتع بالمواصفات التي تجعل منه عضواً صالحاً في هذه الأمة، وكيانها الاجتماعيّ(٨٣).

والشيخ –رحمه الله– على قناعة تامة أنّ التدبر كفيل بحل إشكالات كثيرة في فهم القرآن خصوصا تلك العلوم التي وضعوها وأسموها علوم القرآن، فالتدبر كفيل بإخراج الأمة مما هي فيه...(٨٤) ولذلك نراه يبين كيف أنّ تدبر سورة الفاتحة

لتكون موجها للإنسان تكون ثمرتها الاندراج في سلك الذين أنعم الله عليهم؛ لأنه بتعلمها وتدبُّرها والعمل بها بشكل يجعل منها منهجاً فاعلاً ومُؤثراً في بناء الشخصيَّة المسلمة، يستطيع أن يمارسه كل إنسان قادر على قراءة هذه السور، وقادر على تدبرها وتلاوتها حقّ التلاوة(٨٥).

ولا تتوقف فوائد التدبر عند هذا الحدّ، بل تتجاوز ذلك إلى حدّ أن تخرج القرّاء من دوامة الرجوع إلى التفاسير المطولة التي قد يصعب عليهم التعامُلُ معها، وتمييز ما فيها من مقبول ومرفوض، ورَصْدُ ما أُدخل فيها من إسرائيليات وأخبار موضوعة أو ضعيفة، أو مما لا يصح إسقاطه على معاني القرآن بحال من الأحوال(٨٦).

وليس هذا للقارئ فحسب، بل المستمع كذلك يستفيد من منهج التدبر، فالمستمع الذي لم ينفعل بالقرآن أو يتفاعل معه كما أنّه ليس ناجماً عن قصور في القرآن، بل هو ناجم عن وقر في آذان المستمع والقارئ أو أكنة على قلبه تحول بينه وبين التدبر، قال –رحمه الله–: يعود هذا التفاعل بحسب تمرير الإنسان لآياته على قلبه وتكراره لها؛ فكلما ازداد التكرار ازداد التفاعل، وكلما ازداد التأمل والعيش مع الآيات والإحساس بها، استشعر القارئ كأنّ الله يخاطبه بالقرآن المجيد الآن ولأول مرة، فيمرر ما يقرؤه بعينه إلى لسانه، ثم يعرج به إلى المخ، والجهاز العصبي ليفكر فيه، ويستشعره، ويجعله يجري مجرى الدم منه، ويعود به إلى القلب؛ حتى يبلغ بالمتدبر حالة الوعي بما قرأه، وتدبَّره من القرآن الكريم، فيجب الاستشعار بالكلمات، والخروج بها من اللسان إلى المخيلة، ثم إلى القلب فيرقى شيئاً فشيئاً. كذلك ما يتعلق بموضوع استقامة الشخص والعمل بآيات كتاب الله تعالى يفتح له مغاليق فهم كتاب الله(٨٧).

وعند حديثه عن التسبيح في سورة النور بيّن أنّ العمق والاتصال بآيات الكتاب الكريم في التّسبيح يزداد ويتسع بازدياد التّدبر والتّفكر في الآيات الكريمات(٨٨).

وبالتدبر يمكن معرفة الصالحين وأعمالهم على وجه الدقة(٨٩) وهو المانع من الغفلة(٩٠).

هذا الموضوع في فكر الشيخ يتطلب التعمق فيه أطروحة خاصة بذلك؛ لما له من أثر في منهج فهم القرآن الكريم، خصوصاً عندما يكون هذا المنهج مخاطباً به جميع المتفهمين لآياته البيّنات، والبحث في ضوابط التدبر ومحدداته أمر في غاية الأهمية.

الخاتمة:

حديث الشيخ –رحمه الله– عن المعوقات بأقسامها حديث جديد من عالم أو مهتم بعلوم الشريعة عموما، وبعلوم القرآن كذلك، وما فتئ يذكر مشكلات هذه العلوم في تمكين الأمة من نهضة فاعلة، وشهود حضاري مؤثر في الأوساط الإسلامية والعالمية، وقد حاولت هذه الدراسة الوقوف على هذه المعوقات بعد أن قامت بحصرها وتصنيفها من خلال كتابه " تفسير القرآن بالقرآن" الذي جاء ثمرة يانعة لمعايشة طويلة مع كتاب الله تعالى، وقد أفضت هذه الدراسة إلى نتائج عديدة نجملها في النقاط الآتية:

١- ثلاثة معوقات تحول بين القارئ والوصول إلى مقاصد القرآن وتفعيلها في الحياة يتمثل أولها في القارئ للقرآن من

الناحية النفسية والسلوكية والمعرفية، فالذنوب، ودراسة القرآن للانتصار للرأي، والاختلاف، وحمل أفكار مسبقة، وافتقاد القارئ لتصور حقيقي للقرآن الكريم، أو عدم إلمامه بأساليب القرآن وعاداته، وأسمائه، وتسكين معاني القرآن في بطن التراث كل ذلك من المعوقات التي تحول دون فهم حقيقي للقرآن الكريم.

٢- ويتمثل الثاني في التراث الإسلامي الذي لم ينجح في استجلاء معاني القرآن، بل وقف بعضه حائلاً وحاجزاً دون فهمه خاصة فيما أطلق عليه علوم القرآن كالنسخ وغيره، والسبب الأهم أنّ منطلقاته لم ترتكز على حقائق القرآن وهداياته ولم ترتبط به. فاستدعاه ذلك إلى رفض كثير مما قاله المفسرون في القصص القرآني وأشراط الساعة وحكايات الجنّ، وأكبر نقد وجهه إليه يتجلى في رفضه القراءة المجتزأة لكتاب الله التي ترتب عليها كثير من المعاني السلبية لكتاب الله تعالى.

٣- يرى الشيخ أن غياب ثقافة واسعة متعلقة بالقرآن الكريم يشكل معوقاً أشدّ خطورة، كالجهل بعادات القرآن ولسانه الخاص، والوقوف على الوحدة البنائية فيه التي تبطل مبدأ النسخ، وتأبى قراءة العضين، كذلك، تفهّم القرآن بمعزل عن الجمع بين القراءتين أدّى إلى غفلة الأمة عن الإمساك بزمام النهضة والشهود الحضاري.

٤- نقد الشيخ للمعوقات نقد بنّاء، يهدف إلى تفعيل المنهجية الإسلامية في فهم الوحي لبناء فكر إسلامي حضاري غير مكبل باجتهادات السابقين، ومقيّد بأفهام المتقدمين الذين جعل بعضهم القرآن عضين، فأنتج فرقاً شتى، استقلت كل فرقة بفهمها، فكان كل حزب بما لديهم فرحون.

٥- طرح الشيخ منهج التدبر في فهم كتاب الله ليكون حبل النجاة ورائد الخلاص من المعوقات كلها، فهو الحلّ الذي يراه الشيخ ممكناً لتجاوز هذه المعوقات، وهو منهج من شأنه أن يعيد قراءة الوحي قراءة صحيحة، تمتلئ به النفس، ويطمئن له القلب؛ ليبعث الروح في الأمة، وتستأنف به دورها الريادي، وتنجز في ضوئه مهامّها الحضارية.

الهوامش:

(١) طه جابر العلواني، **تفسير القرآن بالقرآن**، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٢٠م. ص٥٠.

(٢) صالح السعود، انظر بحثه في **مجلة جامعة الشارقة**، مجلد ٩، عدد٣، سنة ٢٠٢٢. انظر: ص٥٢٥-٥٣٢.

(٣) عبد العالي زكوب، مقومات تدبر القرآن ومعوقاته، **مجلة الدراسات الإسلامية**، الجزائر، جامعة عمار ثليجي، المجلد ٦ العدد ١١ سنة ٢٠١٨. ص٣١٩.

(٤) **التفسير**، انظر ص١٢-١٣.

(٥) **التفسير**، ص: ١٢. وقد فصل الشيخ في مواقع أخرى الذنوب وأنها أمراض القلوب والنفاق، انظر: أكاديمية طه العلواني للدراسات القرآنية https://alwani.org/?p=11677

(٦) **التفسير**، ص٣٢.

(٧) **التفسير**، انظر: ص٣٢ وما بعدها.

(٨) انظر: **التفسير**: ص٣٣-٣٧.

(٩) طه جابر العلواني، **عربية القرآن ومستقبل الأمة القطب**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مجلة إسلامية المعرفة، ٢٠٠٤، العدد ٣٥. ص١١.

(١٠) طه جابر العلواني، **معالم في المنهج القرآني**، دار السلام للطباعة والنشر، ٢٠١٠م. انظر ص٦١-٦٢..

(١١) انظر: محمد بن عبد الله القرطبي **الجامع لأحكام القرآن**، بيروت: دار إحياء التراث بدون تاريخ ج ١٢، ص٢٩٧.

(١٢) التفسير، ص٧٩٥.

(١٣) أكرم ضياء العمري، **التراث والمعاصرة، نشر رئاسة المحاكم الشرعية**، قطر ١٩٨٥، انظر: ص٣٦-٣٧.

(١٤) التفسير، ص٢٧، وانظر: ص٣٨

(١٥) خديجة جعفر، **المراحل الفكرية للشيخ طه جابر العلواني**، مقالة على الشبكة العنكبوتية.
https://ishrakat.com/article-desc_4244

(١٦) مالك بن نبي، **الظاهرة القرآنية**، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٠م، ص٥٨.

(١٧) **التفسير**، انظر: ص٣٨

(١٨) **التفسير**، انظر: ص١٤٧، ١٦٣.

(١٩) **التفسير**، ص٣٨.

(٢٠) **التفسير**، انظر: ص٣٩. وانظر: **تفسير القرطبي** ج ١٤، ص١١٣.

(٢١) محمد جمال الدين القاسمي، **محاسن التأويل**، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ. ج ٨، ص٤٦.

(٢٢) **التفسير**، ص١١٣

(٢٣) **التفسير**، ص٧٤٥.

(٢٤) **التفسير**، ص٨٧٢

(٢٥) **التفسير**، انظر: ص٩٣٢

(٢٦) **التفسير**، ص٤٦٥.

(٢٧) **التفسير**، ص١٧٦

(٢٨) **التفسير**، ص٣٨١.

(٢٩) **التفسير**، ص٦٣٨.

(٣٠) **التفسير**، ص٥٤١-٥٤٢

(٣١) **التفسير**، ص٥٤٥

(٣٢) **التفسير**، ص٢٩٤.

(٣٣) **التفسير**، ص٥٤٨.

(٣٤) **التفسير**، ص٥٩٢.

(٣٥) أحمد أبو سيف، **دراسة حديثية تحليلية نقدية لكتاب إشكالية التعامل مع السنة النبوية** لطه جابر العلواني، عمان . ٢٠١٨، ص٢٨٧.

(٣٦) إسماعيل الحسني، **قراءة في كتاب إشكالية التعامل مع السنة** لطه العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مجلة إسلامية المعرفة، العدد ٩٠، ص١٤٧.

(٣٧) **التفسير**، انظر: ص٤٠٧-٤٠٩

(٣٨) انظر ص٣١٦ من التفسير

(٣٩) انظر: **التفسير**، ص:٤١٠-٤١١

(٤٠) انظر: **التفسير**، ص٤١١.

(٤١) **التفسير**، انظر: ص٣٥١.

(٤٢) **التفسير**، انظر: ص٣٥٠.

(٤٣) **التفسير**، انظر: ص٣٥١.

(٤٤) **التفسير**، ص٣٥٢.

(٤٥) **التفسير**، انظر: ص٩٠٥.

(٤٦) **التفسير**، ص٤٣٣.

(٤٧) طارق حجي، **المنهجية القرآنية عند طه جابر العلواني**، مركز تفسير للدراسات القرآنية:
https://tafsir.net/article/5476/qra-aat-al-mnhjyt-al-qr-aanyt-2-4-al-mnhjyt-al-qr-aanyt-and-th-jabr-al-lwany-awlana-t-asys-hakmyt-al-ktab

(٤٨) **التفسير**، انظر: ص١٢٩.

(٤٩) **التفسير**، ص: ٤٢٦-٤٢٧.

(٥٠) **التفسير**، ص٥٢٨

(٥١) **التفسير**، ص٥٣٢-٥٣٣.

(٥٢) **التفسير**، ص٥٣٣.

(٥٣) **التفسير**، ص٥٩٠.

(٥٤) جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ١٩٧٤ الدار المصرية للكتاب. ج ٤، ص٢٠٠.

(٥٥) انظر: ص١٢.

(٥٦) انظر: طه جابر العلواني، **معالم في المنهج القرآني** ص١٣٧

(٥٧) **التفسير**، ص٢٧٤.

(٥٨) انظر: **التفسير**، ص١٦٣.

(٥٩) **المرجع السابق نفسه** ص:١٦٧.

(٦٠) انظر، ص٥٢٧.

(٦١) **التفسير**، ص٢٧٢-٢٧٣.

(٦٢) **التفسير**، ص٢٨٨.

(٦٣) انظر ص: ٣٢، وص: ٤٩، وص ٢١٦. وص ٨٠٦.

(٦٤) **التفسير**، ص٧٧٧. وانظر: ص٥٨.

(٦٥) **التفسير**، ص٣٢٦.

(٦٦) **التفسير**، ص١٩٢.

(٦٧) **التفسير**، ص٥٣٦

(٦٨) **التفسير**، ص٧٢٩.

(٦٩) انظر: **التفسير**، ص٣٢٣-٣٢٦، وص ٦٥١.

(٧٠) انظر ص٦٥١.

(٧١) **التفسير**، ص١١٨.

(٧٢) **التفسير**، ص٣٢٩.

(٧٣) **التفسير**، ص٤٥٣

(٧٤) **التفسير**، ص٨٧٧.

(٧٥) **التفسير**، انظر: ٨٩٤-٨٩٥.

(٧٦) **التفسير**، انظر: ص٨١-٨٢.

(٧٧) **التفسير**، ص٢٧.

(٧٨) انظر ص١١- ١٢ من **التفسير**

(٧٩) ص١٦.

(٨٠) **التفسير**، ص١٩.

(٨١) **نفسه**، ص١٩.

(٨٢) **التفسير**، ص٤٢.

(٨٣) **التفسير**، انظر: ص١٢-١٣

(٨٤) **التفسير**، انظر: ص١٣.

(٨٥) **التفسير**، انظر: ص٥٤-٥٥

(٨٦) انظر **التفسير**، ص٨٧.

(٨٧) انظر: **التفسير**، ص١١-١٢.

(٨٨) **التفسير**، ص٧٦٠.

(٨٩) انظر: ص٧٦٩

(٩٠) **التفسير**، ص٦١٣.

المصادر والمراجع:

- أحمد أبو سيف، دراسة حديثية تحليلية نقدية لكتاب إشكالية التعامل مع السنة النبوية لطه جابر العلواني، عمان . ٢٠١٨.
- إسماعيل الحسني، قراءة في كتاب إشكالية التعامل مع السنة لطه العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مجلة إسلامية المعرفة.
- أكرم ضياء العمري، التراث والمعاصرة، نشر رئاسة المحاكم الشرعية، قطر ١٩٨٥.
- خديجة جعفر، المراحل الفكرية للشيخ طه جابر العلواني، مقالة على الشبكة العنكبوتية https://ishrakat.com/article-desc_ 4244
- صالح السعود، الفهم الصحيح للقرآن بين ضوابط منجية ومزالق مهلكة، مجلة جامعة الشارقة، مجد ٩ العدد٣ السنة ٢٠٢٢.
- طارق حجي، المنهجية القرآنية عند طه جابر العلواني، مركز تفسير للدراسات القرآنية: https://tafsir.net/article/5476/qra-aat-al-mnhjyt-al-qr-aanyt-2-4-al-mnhjyt-al-qr-aanyt-and-th-jabr-al-lwany-awlana-t-asys-hakmyt-al-ktab
- طه جابر العلواني، تفسير القرآن بالقرآن، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٢٠م. ص٥٠.
- طه جابر العلواني، أكاديمية طه العلواني للدراسات القرآنية https://alwani.org/?p=11677
- طه جابر العلواني، عربية القرآن ومستقبل الأمة القطب، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مجلة إسلامية المعرفة، ٢٠٠٤.
- طه جابر العلواني، معالم في المنهج القرآني، دار السلام للطباعة والنشر، ٢٠١٠م.
- عبد العالي زكوب، مقومات تدبر القرآن ومعوقاته، مجلة الدراسات الإسلامية – الجزائر، جامعة عمار ثليجي– المجلد ٦ العدد ١١ سنة ٢٠١٨.
- القاسمي، محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ.
- مالك بن نبي، **الظاهرة القرآنية**، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٠م.

Sources and References

- Ahmed Abu Saif, a modern, critical analytical study of the book The Problem of Dealing with the Prophetic Sunnah by Taha Jaber Al-Alwani, Amman - 2018.
- Ismail Al-Hassani, a reading of the book The Problem of Dealing with the Sunnah by Taha Al-Alwani, International Institute of Islamic Thought, Islamic Knowledge Magazine,
- Akram Diaa Al-Omari, Heritage and Contemporary, published by the Presidency of the Sharia Courts, Qatar 1985
- Khadija Jaafar, The Intellectual Stages of Sheikh Taha Jaber Al-Alwani, an article on the Internet https://ishrakat.com/article-desc_ 4244
- Saleh Al-Saud, The correct understanding of the Qur'an between saving regulations and fatal pitfalls, University of Sharjah Magazine, Vol. 9, Issue 3, 2022.
- Taha Jaber Al-Alwani, Interpretation of the Qur'an through the Qur'an, published by the International Institute of Islamic Thought, 2020 AD. p. 50.

- Taha Jaber Al-Alwani, Taha Al-Alwani Academy for Quranic Studies https://alwani.org/?p=11677
- Taha Jaber Al-Alwani, The Arabicness of the Qur'an and the Future of the Pole Nation, International Institute of Islamic Thought, Islamic Knowledge Magazine, 2004.
- Taha Jaber Al-Alwani, Landmarks in the Qur'anic Method, Dar Al-Salam Printing and Publishing, 2010 AD.
- Abdel-Aali Zakoub, The elements of contemplating the Qur'an and its obstacles, Journal of Islamic Studies - Algeria, Ammar Thiliji University - Volume 6, Issue 11, 2018.
- Al-Qasimi, Muhammad Jamal al-Din, The Virtues of Interpretation, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1418 AH.
- Malek Bennabi, The Qur'anic Phenomenon, Damascus: Dar Al-Fikr, 2000 AD